مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة

من كلام الإمام الصادق

صلوات الله عليه

مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة من كلام الامام الصادق صلوات الله عليه

مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة

من كلام

الإمام جعفر بن محمد الصادق

(صلوات الله وسلامه عليه)

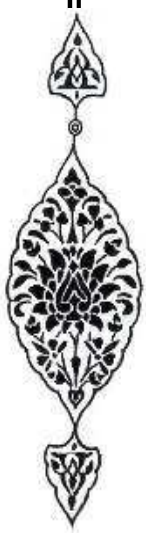

دراسة وتحقيق

عبدالجواد الحسيني

جميع حقوق الطبع محفوظة

مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة

من كلام الإمام جعفر بن محمد الصادق صلوات الله وسلامه عليه

دراسة وتحقيق: ..... عبدالجواد الحسيني
المطبعة: ..... المهدي للطباعة المحدودة
الطبعة: ..... الثانية/ مصحّحة- ١٤٤٥-٢٠٢٤
الإخراج الفني: ..... كمبيوتر المهدي
الكمية: ١٠٠٠

كمبيوتر المهدي عجل الله فرجه الشريف
للطباعة الديجيتالية والتصميم والإخراج الفني
إيران- قم المقدّسة/ موبايل: 989192524969+

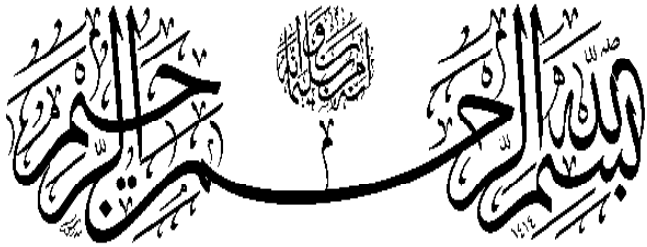
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة

(دراسة تحليلية)

الحمدُ لله رب العالمين، وصلى اللهُ على محمد وآله الطاهرين، الذين اصطفاهم مُلوكاً لحفظ النظام، واختارهم رُؤساء لجميع الأنام، وبعثهم لقيام القسط في ابتداء الوجود إلى يوم القيامة، فأكمل باستخلافِهم رسالة المنذرين، وأوجب رئاستهم في فِطر المكلفين، فسبحانه من إله ما أرأفه، ولا إله إلا هو من ملك ما أعدله، إذ مَن علينا بحكامٍ يقومون مقامه لو كان حاضراً في المكان، ولا إله إلا هو العلي العظيم.

قال السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (٦٦٤هـ) فيما يصحب المسافر معه من كتب (ويصحب معه كتاب مصباح الشريعة، ومفتاح الحقيقة، عن الإمام الصادق عليه السلام، فإنه كتاب لطيف شريف، في التعريف بالتسليك إلى الله جل جلاله، والإقبال عليه، والظفر بالأسرار التي اشتملت عليه)[1]، وهذه أول إشارة صريحة للمصباح، تعود إلى القرن السابع الهجري، لكن من جانب آخر نجد أن بعض المصنفين في القرن الثالث الهجري قد نقل بعض نصوصه، كما سوف يتضح في محله.

---

(١) السيد ابن طاووس، الأمان من أخطار الأسفار والأزمان، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، قم، ١٤٠٩، ص٩١.

وقد اختلف الأعلام في أمر نسبته إلى الإمام الصادق سلام الله عليه، فوجدت ثلاثة اتجاهات في التعامل مع الكتاب.

الاتجاه الأول: إثبات نسبة الكتاب بأجمعه إلى الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه، والتسليم به، وأبرز رجال هذا الاتجاه:

- السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، وقد تقدم ذكر كلامه.

- الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي العاملي الكفعمي (٩٠٥هـ)، وكان يعتمد عليه في مؤلفاته ويستقي منه[١].

- الشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي العاملي (٩٦٥هـ)، الذي اعتمد على مصباح الشريعة، وجعله مصدراً رئيساً في أكثر من مؤلف من آثاره، مثل: منية المريد[٢]، ومسكن الفؤاد[٣]،وأسرار الصلاة[٤]، وكشف الريبة[٥].

- أبو المكارم السيد هاشم بن سليمان البحراني (١١٠٩هـ)، فهو من

---

(١) الشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي الكفعمي، مجموع الغرائب وموضوع الرغائب، تحقيق: مهدي رجائي، ط١، قم، ١٤١٢، ص٤٩.

(٢) ينظر: الشيخ زين الدين العاملي، منية المريد، ط١، بيروت، ١٤٢٣، ص٤٨.

(٣) ينظر: الشيخ زين الدين العاملي، مسكن الفؤاد، ط٢، الكويت، ١٩٩٥، ص٥٨، ٥٩.

(٤) ينظر: الشيخ زين الدين العاملي، أسرار الصلاة، تحقيق: محمد علي قاسم، ط١، بيروت، ١٩٨٩، ص٩٤، وما بعدها، وقد نقل في هذا الكتاب حوالي ثلاثة عشر باباً من مصباح الشريعة.

(٥) ينظر: الشيخ زين الدين العاملي، كشف الريبة عن أحكام الغيبة، تحقيق: علي الخراساني الكاظمي، ط٢، بيروت، ١٩٨٧، ص٥٣، ٥٧، ٦٥، ٩٠، وغيرها.

المصادر التي أعتمدها في تفسيره[١].

وهناك العديد من الأعلام الذين اعتمدوا مصباح الشريعة، واستقوا منه أحاديث الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه، وزينوا بها مؤلفاتهم، كالشيخ أحمد بن محمد بن فهد الحلي (٨٤١هـ)، والفيلسوف الشيخ محسن الفيض الكاشاني (١٠٩١هـ)، والسيد علي خان المدني الشيرازي (١١٢٠هـ)، والشيخ محمد مهدي النراقي (١٢٠٩هـ)[٢]، والقاضي سعيد محمد بن محمد القمي (١١٠٧هـ)[٣]، والشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي (١٢٤١هـ)[٤]، والفيلسوف الشيخ هادي السبزواري (١٢٨٩هـ)[٥] والشيخ محمد خان الكرماني (١٣٢٤هـ)[٦]، وغيرهم الكثير.

الاتجاه الثاني: نفى نسبة الكتاب إلى الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه، وأبرز أصحاب هذا الاتجاه:

---

(١) السيد هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، تحقيق: لجنة من العلماء المحققين، ط٢، بيروت، ١٤٢٧، ج١، ص٧٦.

(٢) ينظر: مقدمة الشيخ حسن المصطفوي على نشرته لمصباح الشريعة، الطبع الحجري، طهران، ١٣٧٩، ص د، وما بعدها.

(٣) ينظر: القاضي سعيد محمد بن محمد القمي، شرح توحيد الصدوق، تحقيق: نجفقلي حبيبي، ط١، طهران، ١٤١٥، ج١، ص٦٤٥.

(٤) ينظر: الشيخ أحمد الإحسائي، شرح العرشية، تحقيق: صالح الدباب، ط١، بيروت، ١٤٢٦، ج١، ص٦٨.

(٥) ينظر: الشيخ هادي السبزواري، شرح الأسماء، تحقيق: نجفقلي حبيبي، ط١، طهران، ١٩٩٦، ص٥١.

(٦) ينظر: الشيخ محمد خان الكرماني، الكتاب المبين، ط١، البصرة، ١٤٣٢، ج١، ص٧.

- الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (١٠٣٣هـ)، إذ يقول (كتاب مصباح الشريعة، المنسوب إلى الصادق عليه السلام، فإن سنده لم يثبت، وفيه أشياء منكرة مخالفة للمتواترات)[١].

- الشيخ محمد باقر المجلسي (١١١٠هـ)، يقول (وكتاب مصباح الشريعة، فيه بعض ما يريب اللبيب الماهر)[٢].

وفي إحدى مخطوطات مصباح الشريعة التي تعود إلى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، وهي كما يبدو لأحد تلامذة الشيخ المجلسي، جاء في هامشها تعليق كتب سنة (١١٣١هـ) (أقول وأنا الفقير إلى رحمة ربه الغني، محمد محسن الجيلي، انه قد سألت ذات يوم شيخنا وأستاذنا ومولانا محمد باقر المجلسي عليه الرحمة، عن معنى كلام ذكر في باب المائة من هذا الكتاب .. فقال طاب ثراه: هذا من جملة روايات شقيق البلخي .. فعرضت عليه قدس سره أنكم رويتم عن هذا الكتاب في بحار الأنوار، فقال: نعم، ما كان منه موافقاً لروايات أُخر رويت عن أئمتنا عليهم السلام، نقلناه منه)[٣].

- الميرزا عبد الله أفندي الأصبهاني (١١٣٠هـ) الذي يقول (كتاب مصباح الشريعة، في الأخبار والمواعظ، وهو كتاب معروف متداول .. هو من مؤلفات بعض الصوفية كما لا يخفى)[٤].

---

(١) الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام، ط١، مشهد، ١٤١٤، ج٨، ص٥٥٠.

(٢) الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ط١، بيروت، ١٩٨٦، ج١، ص٣٢.

(٣) سوف يأتي وصف هذه المخطوطة، ورمزها (ا).

(٤) الميرزا عبد الله أفندي الأصبهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: أحمد الحسيني، ط١، قم، ١٤٠١، ج٦، ص٥٤.

الاتجاه الثالث: عدم التسليم بنسبة الكتاب بأجمعه إلى الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه، وهناك مجموعة من الأعلام يذهبون إلى هذا، ولعل أشهرهم:

- الشيخ الميرزا حسين النوري الطبرسي (١٣٢٠هـ)، إذ يقول (إن الذي يستظهر من العلماء، من التأمل في الكتاب، أن ما نسب إليه[١]، هو ما في صدر الأبواب، بقوله: قال الصادق عليه السلام، وما فيه من الرواية ونقل الأخبار من الجامع)[٢].

- العلامة الميرزا محمد تقي حجة الإسلام (١٣١٢هـ)[٣].

وللاتجاه الثاني الذي ينفي نسبة الكتاب إلى الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه، مجموعة من الإشكالات التي تأسس عليها موقفهم السلبي تجاه مصباح الشريعة، ويمكن تلخيصها كما يلي:

أولاً: ليس هناك من سند ثابت لمصباح الشريعة.

ثانياً: يحتوي مصباح الشريعة على أشياء منكرة، مخالفة للمتواترات.

ثالثاً: مضمون مصباح الشريعة، لا يشبه كلمات أهل البيت سلام الله عليهم.

رابعاً: أسلوب الكلام في مصباح الشريعة هو أسلوب الصوفية، وهو

---

(١) أي إلى الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه.

(٢) الشيخ الميرزا حسين النوري الطبرسي، خاتمة مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، بيروت، ١٤٢٩، ج١، ٢٠١- ٢١٥.

(٣) ينظر: الميرزا محمد تقي حجة الاسلام، صحيفة الأبرار، ط١، بيروت، ١٤٢٤، ج٢، ص٥٥٦.

مسبوك وفقاً لمصطلحاتهم.

أما فيما يخص الإشكال الأول، وهو الذي أورده الشيخ الحر العاملي[١]، فيمكن أن يقال في جوابه[٢]، إن ثبوت السند له معنيان:

الأول: وثاقة رجال السند الرواة للحديث، عقيدة وعدالة وضبطاً، والتي تجعل من الحديث معتبراً، فإن توفرت هذه العناصر الثلاثة فالحديث صحيح، وإن انتفى الأول في أحد سلسلة السند، أي العقيدة الحقة وهي كون الراوي من الاثني عشرية، فالحديث موثق، وإن انتفى الثاني، أي العدالة، مع شرط عدم ذم الراوي، فهو حسن[٣].

الثاني: حصول الاطمئنان الذي ينتج الوثوق بصحة الحديث، وهذا يتحصل بطرق عدة، منها شهادة الأعلام من المحققين.

فإن كان المراد هو المعنى الأول، فإن هذا المعنى غير متفق عليه في صفوف الإمامية، فهو مرفوض عند المدرسة الأخبارية، لأنهم يعتقدون ان هذا التقسيم من عمل العامة، وقد تأثر به متأخري الخاصة في القرن السابع الهجري، وقد شنع الأخباريون على هذا التقسيم، وعدوه من البدع التي يحرم العمل بها، ثم ان الشيخ الحر العاملي نفسه، وهو أحد أركان المدرسة الأخبارية، استدل بأثنين وعشرين وجهاً على بطلان هذا التقسيم[٤].

---

(١) ينظر: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، هداية الأمة، ج٨، ص٥٥٠.

(٢) ينظر: الشيخ حسين النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج١، ص٢٠٨.

(٣) ينظر: الشيخ مصطفى النوراني، قواعد الدراية، ط١، قم، ١٤١١، ص١٩.

(٤) للمزيد حول هذا الموضوع، ينظر: الشيخ معين حسن العاملي، السوانح العاملية في تنقيح القواعد الرجالية، ط١، قم، ١٤٢٦، ص٢٠٧.

إضافة إلى هذا، فإن تطبيق المنهج السندي على الحديث يسعى إلى الوصول إلى حجية الحديث الشرعية التي تترتب عليها أعمال المكلفين، من حيث التنجيز والمعذرية، أي إن اعتبار الحديث من الناحية السندية، لا يعني اليقين بصدوره عن المعصوم سلام الله عليه، كذلك عدم اعتباره سنداً ليس دليلاً على عدم صدوره، بل دليل على عدم حجيته فحسب[١].

ولا يخفى بأن أحاديث مصباح الشريعة، لا تتعلق ببيان الأحكام الشرعية، بل هي أحاديث أخلاقية لتهذيب النفس، وكما قال السيد ابن طاووس في تعريفه (فإنه كتاب لطيف شريف، في التعريف بالتسليك إلى الله جل جلاله، والإقبال عليه، والظفر بالأسرار التي اشتملت عليه)[٢]، فلا يوجد مبرر لإخضاعها لقواعد علم الدراية.

وعلى هذا الأساس اعتمدوا كتاب (تحف العقول عن آل الرسول) للحسن بن علي بن شعبة الحراني، أحد أعلام الإمامية في الرابع الهجري، إذ يقول الشيخ محمد باقر المجلسي فيه (وكتاب تحف العقول .. أكثره في المواعظ والأصول المعلومة، التي لا نحتاج فيها إلى سند)[٣].

وإن كان المراد هو المعنى الثاني، أي حصول الاطمئنان، فهذا حاصل لكتاب مصباح الشريعة، إذ تكفي شهادة أعلام الطائفة، كالسيد ابن طاووس والشهيد الثاني، والكفعمي، وغيرهم ممن تقدم ذكره، لحصول الطمأنينة

---

(١) ينظر: الشيخ محمد آصف المحسني، معجم الأحاديث المعتبرة، ط٢، قم، ١٤٣٧، ج١، ص٢٥.

(٢) السيد ابن طاووس، الأمان من أخطار الأسفار والأزمان، ص٩١.

(٣) الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج١، ص٢٩.

بالكتاب.

ويرى الشيخ النوري بأن الحر العاملي برفضه مصباح الشريعة، بحجة عدم السند، قد ناقض نفسه، إذ يقول (هذا كتاب تحف العقول، للحسن بن علي بن شعبة، قد أكتفى بمدحه ومدح الكتاب .. وقد أكثر النقل عن التحف في الوسائل، ومثله في عدم الذكر والجهالة الحسن بن أبي الحسن الديلمي، وكتبه، سيما إرشاد القلوب، الذي قد أكثر النقل منه، وعده من الكتب المعتمدة .. فمن أين عرفه وعرف وثاقته .. فهل هذا إلا تهافت في المذاق، وتناقض في المسلك)[١].

وهنا قد يقال بأن الإشكالات الأخرى على مصباح الشريعة، كمخالفته للمتواترات، وغيره، لا تسمح بحصول الاطمئنان تجاهه. وصحة هذا متوقفة على تمامية تلك الإشكالات، وبسقوطها يسقط.

أما الإشكال الثاني، وهو ان مصباح الشريعة يحتوي على أشياء منكرة مخالفة للمتواترات، وهو أيضاً للشيخ الحر العاملي[٢]، إلا انه لم يحدد هذه الأمور، بل أشار لها إجمالاً، حتى ان الشيخ حسين النوري قال (ليته رحمه الله أشار إلى بعضها، فإنا لم نجد فيه ما يخالف المشهور، فضلاً عن المتواتر)[٣]، وقد احتمل الشيخ النوري أنهم يقصدون ما ورد في مصباح الشريعة حول معرفة الصحابة.

والحق أن دعوى الشيخ النوري غير دقيقة، حول خلو المصباح مما

(١) الشيخ حسين النوري، خاتمة المستدرك، ج١، ص٢٠٨.
(٢) ينظر: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، هداية الأمة، ج٨، ص٥٥٠.
(٣) الشيخ حسين النوري الطبرسي، خاتمة المستدرك، ج١، ص٢٠٩.

يخالف المشهور فضلاً عن المتواتر، أما احتماله حول معرفة الصحابة، فهو احتمال وجيه وارد، وسيأتي الكلام فيه.

بداية فهذا الإشكال إنما يطال الاتجاه الأول الذي يثبت نسبة الكتاب بأجمعه إلى الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه، دون الاتجاه الثالث، لأن الأمور المنكرة والمخالفة هي من كلام الجامع وشرحه.

وبالتأمل في نص مصباح الشريعة، قد نجد بعض الأمور التي لا تنسجم مع مذهب أهل البيت سلام الله عليهم، فيستحكم الإشكال على من ذهب إلى الاتجاه الأول، وهي كما يلي:

أولاً: جاء في الباب السابع والستين من مصباح الشريعة (فالزم ما أجمع عليه أهل الصفاء والتقى، من أصول الدين، وحقائق اليقين ... وقد اجتمعت الأمة المختارة، بأنَّ الله واحد، ليس كمثله شيء، ... وان القران كلامه، وإنه مخلوق)[1].

هذا النص يؤكد على أن القرآن الكريم مخلوق، وهذه هي عقيدة المعتزلة والأشاعرة[2]، إذ يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي (٤١٥هـ) (إن القرآن الكريم، كلامُ الله ووحيه، وهو مخلوق)[3].

---

(١) بعض مخطوطات مصباح الشريعة المتقدمة والمتأخرة خالية من (وإنه مخلوق).

(٢) الأشاعرة قسموا الكلام إلى نفسي ولفظي، فقالوا بقدم النفسي، وخلق اللفظي، فالقرآن الكريم مخلوق عندهم، أما بعض الحنابلة فقالوا بقدم القرآن بما فيه جلده وورقه ! وزيادة البيان تُطلب من مظانها.

(٣) القاضي عبد الجبار المعتزلي، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: د. عبدالكريم عثمان،ط٣، القاهرة، ١٩٩٦، ص٢٢٨.

وكون القرآن مخلوق، أمر مرفوض عند أهل البيت سلام الله عليهم، إذ يقول الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه (فإن كتاب الله محدث غير مخلوق)[١]، وكانت المعتزلة تصر على كون القرآن مخلوق إلى جانب كونه محدث، ونُقل عن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) أن الكلام متى ما وصف بالخلق، فالقصد به الكذب[٢]، وعلى هذا الأساس علق الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق (٣٨١هـ) على الحديث السابق للإمام الصادق سلام الله عليه، قائلاً (ومعنى ما فيه أنه غير مخلوق، أي غير مكذوب)[٣]، غير أن هناك نصوص للمعتزلة قد لا تسمح بهذا المعنى[٤]، وليس هذا محل التحقيق في ذلك، بل المهم هنا بيان أن خلق القرآن من عقائد المعتزلة والأشاعرة التي رفضها أئمة أهل البيت سلام الله عليهم.

فهذه الفقرة في مصباح الشريعة، مخالفة صريحة لمذهب أهل البيت سلام الله عليهم، ولا يمكن نسبتها إلى الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه، والظاهر أنها من إضافات الزيدية والإسماعيلية، لتداول المصباح عندهم،

---

(١) الشيخ ابو جعفر الصدوق، التوحيد، تحقيق: السيد هاشم الحسيني، ط١٠، قم، ١٤٣٠، ص٢٢١.

(٢) ينظر: الراغب الاصفهاني، محاضرات الأدباء، ط١، بيروت، ١٤٢٠، ج٢، ص٤٤٢.
أيضاً: الخليل الفراهيدي، العين، تحقيق: ابراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، ط١، بيروت، ج٤، ص١٥١.

(٣) الشيخ ابو جعفر الصدوق، التوحيد، ص٢٢٣.

(٤) ينظر: القاضي عبد الجبار المعتزلي، المغني، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط١، القاهرة، ١٩٦٠، ج٧، ص٢٢٤.

ولميل أهم مصادرهم الفكرية إلى خلق القرآن[١]، بينما نجد النص يتغير في مخطوطات معتبرة، فقد جاء في مخطوطة (ف) (والقران كلامه وإيجاده)، بينما في مخطوطة (ط) الزيدية، ومخطوطة اليمن الإسماعيلية نجد القران مخلوقاً!

ثانياً: جاء في الباب الرابع والسبعين من مصباح الشريعة (والصادق حقاً هو الذي يُصدق كل كاذب، بحقيقة صدق ما لديه... مثل آدم عليه السلام صدق إبليس في كذبه، حين أقسم له كاذباً، لعدم ماهية الكذب في آدم، قال الله عز وجل ﴿**وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾، ولأن إبليس أبدع شيئاً كان أول من أبدعه، وهو غير معهود ظاهراً وباطناً، فخسر هو بكذبه ... وأفاد آدم عليه السلام بتصديقه كذبه، بشهادة الله بنفي عزمه عما يضاد عهده في الحقيقة، على معنى لم ينتقص من اصطفائه بكذبه شيئاً).

وظاهر النص رغم تغيره في المخطوطات ان الآية في مقام المدح لآدم عليه السلام، وإن له عهد مع الله تعالى ولم يكن له عزم على ما يضاد ذلك العهد.

وهذا خلاف ما تظهره روايات أهل البيت سلام الله عليهم، فعن الإمام محمد الباقر سلام الله عليه في قول الله عز وجل ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾، قال (عهدنا إليه في محمد والأئمة من بعده فترك ولم يكن له عزم أنهم هكذا، وإنما سمي أولو العزم لأنه عُهِد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته، وأجمع عزمهم على أن ذلك كذلك،

(١) فيما يتعلق بالزيدية ينظر: ابو الحسن الأشعري، مقالات الاسلاميين، تحقيق: هلموت ريتر، ط٣، ١٩٨٠، المانيا، ص٥٨٢. أما الاسماعيلية فينظر: إخوان الصفاء وخلان الوفاء، الرسائل، ط١، بيروت، ١٤١٥، ج٣، ص٥١٧.

والإقرار به)[١].

ثالثاً: هناك ظاهرة واضحة في مصباح الشريعة، وهي الاستشهاد بكلمات غير المعصومين سلام الله عليهم، وهؤلاء الأشخاص الذين استخدمت كلماتهم كالتالي:

١: سلمان المحمدي (٣٣هـ). ٢: أبو ذر الغفاري (٣٢هـ). ٣: أويس القرني (٣٧هـ). ٤: محمد بن الحنفية (٨١هـ). وهؤلاء الأربعة حالهم مشهور، في القرب من آل محمد صلى الله عليهم، وموالاتهم لأمير المؤمنين علي صلوات الله عليه.

٥: أبو الدرداء (٣٢هـ). وهو عويمر بن عامر الخزرجي، من الأنصار، وهناك ما يفيد بمحبته لأمير المؤمنين علي سلام الله عليه[٢].

٦: أُبي بن كعب (٣٠هـ). وهو أُبي بن كعب بن قيس الخزرجي، من أهل يثرب، ومن أوائل الأنصار، وكان له موقف مشرف بعد السقيفة[٣].

٧: عبد الله بن مسعود (٣٢هـ). صحابي مشهور، والظاهر انه كان منحرفاً عن ولاية أمير المؤمنين علي سلام الله عليه[٤].

٨: كعب الأحبار (٣٢هـ). من يهود اليمن[٥]، اقترن اسمه

---

(١) الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ط٥، قم، ١٤٢٥. ج١، ص٢٧٢.

(٢) ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٤، ص١٩٤.

(٣) ينظر: الطبرسي، الاحتجاج، ط٥، قم، ١٤٣٤، ج١، ١٣٨.

(٤) ينظر: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل، ط٢، القاهرة، ١٩٦٧، ج٤، ص٧٦.

(٥) وليس من علماء النصارى كما أفاد الكيلاني في شرحه لمصباح الشريعة، ص٣٢٦.

بالإسرائيليات، وهو محل ذم عند أهل البيت عليهم السلام، وكان منحرفاً عن ولاية أمير المؤمنين علي سلام الله عليه[١].

٩: زيد بن ثابت (٤٥هـ). عثماني الهوى، ومنحرف عن ولاية أمير المؤمنين علي سلام الله عليه.

١٠: ابو ثعلبة الخشني (٧٥هـ). صحابي، لم ينصر أمير المؤمنين علي سلام الله عليه، خصوصاً في صفين، فقد اعتزل عنها[٢].

١١: ربيع بن خثيم (٦٥هـ). أحد الزهاد الثمانية المعروفين، وكان شاكاً بولاية أمير المؤمنين علي سلام الله عليه[٣].

١٢: هرم بن حيان العبدي. كان عاملاً عند الظلمة[٤]، وأحد الزهاد الثمانية المشهورين[٥].

١٣: وهب بن منبه (١١٠هـ). ويعرف بعالم اليمن، وشأنه شأن كعب الأحبار، فهو المسؤول من بعده عن الاسرائيليات التي شوهت التاريخ الاسلامي.

---

(١) ينظر: الكليني، أصول الكافي، ج٤، ص٢٤٠. أيضاً: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٧٧.

(٢) ينظر: العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود، ط١، بيروت، ١٩٩٥، ج٧، ص٥٠.

(٣)ينظر: نصر بن مزاحم، وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، القاهرة، ١٩٦٢، ص١١٥.

(٤) ينظر: ابن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: احمد بن علي، ط١، القاهرة، ١٤٢١، ج٢، ص١٢٦.

(٥) ينظر: محمد الكشي، الرجال، تحقيق: احمد الحسيني، ط١، بيروت، ١٤٣٠، ص٧٧.

١٤: سفيان بن عُيينة بن أبي عمران الهلالي (١٩٨هـ). كان معاصراً للإمام الصادق سلام الله عليه، وكان من المخالفين[١].

١٥: الأحنف بن قيس التميمي (٦٧هـ). أحد الصحابة، ويعد من دهاة العرب وحكمائها، اشتهر بالحلم، نصر أمير المؤمنين علي سلام الله عليه في صفين، أما في الجمل فمنع قومه من نصرة صاحبة الجمل، وقيل أنه لم يجب داعية الإمام الحسين سلام الله عليه، عندما استنصره، وبعد ذلك حارب المختار الثقفي، تحت لواء مصعب بن الزبير[٢].

وكما يتضح من تراجمهم أنه لا يمكن نسبة الاستشهاد بكلمات أكثرهم إلى الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه.

رابعاً: ما أشار اليه الشيخ النوري، حول باب معرفة الصحابة، فقد أجاب عنه باحتمالين، الأول ان الباب من دسيس بعض النساخ، وليس أصيلاً في مصباح الشريعة، أما الثاني فهو ان الوارد في الباب في مدح الصحابة أمر طبيعي، بل هو دون الذي مدحهم به أمير المؤمنين علي سلام الله عليه[٣].

وسيأتي الكلام عن الاحتمال الأول في فقرة لاحقة، أما ثاني الاحتمالين فباطل، إذ لو حللنا هذا الباب لوجدنا الأمر أخطر مما تصوره الشيخ النوري،

---

(١) ينظر: العلامة الحلي، خلاصة الأقوال، تحقيق: جواد قيومي، ط٤، قم، ١٤٣١، ص٣٥٥.

(٢) ينظر: المامقاني، تنقيح المقال في علم الرجال، تحقيق: محيي الدين المامقاني، ط١، قم، ١٤٢٤، ج٨، ص٢٨٧.

(٣) ينظر: الشيخ حسين النوري، خاتمة المستدرك، ج١، ص٢١٠. وقد أطال الشيخ النوري في محاولة تبرير الأمر بما لا طائل فيه.

إذ يبدأ بالعبارة الآتية (قال الصادق عليه السلام: لا تدع اليقين بالشك، والمكشوف بالخفي) ثم يستمر كما يلي: (ولا تحكم على ما لم تره بما يروى لك عنه وقد عظم الله أمر الغيبة وسوء الظن بإخوانك من المؤمنين، فكيف بالجرأة على إطلاق قول واعتقاد بزور وبهتان).

ولكن في المخطوطات المتأخرة ظهرت إضافة جديدة للنص فصار هكذا: (فكيف بالجرأة على إطلاق قول واعتقاد زور وبهتان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله).

ويبقى الكلام مشكل حتى مع حذف تلك الإضافة، فبداية الباب تتعلق بالتحذير من اتباع الشك وتغليبه على اليقين، بعد ذلك يتحول سياق الكلام إلى حرمة الغيبة وسوء الظن، وكلا الأمرين لهما موضع خاص في مصباح الشريعة، نعم يمكن عدهما من مصاديق الشك، إلا ان السياق هنا مبني على وجود يقين لا ينبغي الشك فيه، ثم يخصص الكلام حول الصحابة كما في المخطوطات المتأخرة، فيُجعل اليقين بعدالتهم أصلٌ، وما سواه سوء ظن وشكوك، ولا ينبغي دفع اليقين بالشك، بل الأمر أكثر من ذلك، فحتى في حال حصول شبهة تجاه أحدهم، لا بد من الحفاظ على اليقين بعدالتهم وإيكال الأمر إلى الله تعالى فحسب، والسبب ان المؤمن لم يكلف بمعرفة حقائق هذه الشبه.

إذن نحن أمام قاعدة كلية، يضعها الامام الصادق سلام الله عليه، ثم يأتي الشارح يضع المصاديق والتطبيقات لهذه القاعدة، تبعاً لما يراه هو، وكما سبق فإن قدم الشارح زلت في بعض المواضع، وها نحن أمام موضع آخر تكررت الزلة فيه.

فكيف يقول بأنه لا يوجد تكليف بمعرفة حقائق الشبه التي تتعلق بالصحابة، مع العلم أن أهم اختبار وقع للصحابة يتعلق بولاية أمير المؤمنين

علي سلام الله عليه، ومسألة الإمامة من بعد النبي صلى الله عليه وآله، إذ يقول الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه (إنما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً، قيل: .. فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عز وجل، وتصديق رسوله، وموالاة علي عليه السلام، والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام، والبراءة إلى الله من عدوهم، هكذا يعرف الله)[١]. فأين هذا من ذاك! فلا يمكن التمسك بيقين عدالتهم، وغض الطرف عن الشكوك حولهم، بل لا بد من معرفة الأشياء بمسمياتها، والبراءة إلى الله من أعداء أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه، وإن كانوا من الصحابة، وكان الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه لا ينصرف من صلاته إلا بلعن(أربعة من الرجال وأربعا من النساء، التيمي والعدوي وفعلان ومعاوية، ويسميهم، وفلانة وفلانة وهند وأم الحكم أخت معاوية)[٢].

أما مدح أمير المؤمنين علي سلام الله عليه فهو مدح لصفاتهم، لا لكونهم صحابة، إذ يقول سلام الله عليه (لقد كانوا يصبحون شُعثاً غُبرا، وقد باتوا سُجداً وقياما، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم)[٣]، فملاك المدح وجود هذه الصفات فحسب، وليس بصدد تأسيس منهجية في التعامل مع الصحابة.

أما الاشكال الثالث، وهو أن مضمون مصباح الشريعة لا يشبه كلمات أهل البيت سلام الله عليهم، وأيضاً لم يحددوا المواضع التي تتقاطع بها

(١) الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٢٠٢.
(٢) الشيخ ابو جعفر الطوسي، تهذيب الأحكام، ط٣، قم، ١٤٣٤، ج٢، ص٢٢١.
(٣) نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، ط١، قم، ١٤٢٦، ص١٧٨.

مضامين مصباح الشريعة مع باقي كلمات أهل البيت سلام الله عليهم.

وعلى أي حال فيمكن القول في جوابه بأنه لا يوجد تخالف بين مضمون مصباح الشريعة، وبين كلمات وأسلوب أهل البيت سلام الله عليهم، سوى ما تقدم في الإشكال السابق، وعليه يتوجه هذا الاشكال إلى الاتجاه الأول فحسب، دون الاتجاه الثالث، ومع وجودها فهي للشارح، وسيأتي الكلام عن طبيعة الشرح ومنهجية الشارح.

وأما الاشكال الرابع، الذي ينص على أن اسلوب مصباح الشريعة، هو أسلوب الصوفية، وسبكه جاء طبقاً لمصطلحاتهم، وجاء الاشكال مبهماً أيضاً من غير تحديد.

وهناك ما يدعم هذا الاشكال، تبعاً لما يلي:

أولاً: ان أكثر الأحاديث النبوية، وكلمات الأعلام، التي وردت في مصباح الشريعة، موجودة من كتب الصوفية، لا سيما ابو طالب المكي (٣٨٦هـ)، وابو القاسم القشيري (٤٦٥هـ)، وابو حامد الغزالي (٥٠٥هـ)، فمثلاً ما تقدم في النقطة الثانية التي أيدت الاشكال الثاني، بأن هناك نص في مصباح الشريعة يخالف روايات أهل البيت سلام الله عليهم، حول تفسير قول الله عز وجل ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾، إذ يصور الآية في مقام المدح، فهذا التصوير موجود في تفاسير الصوفية إذ يقول القشيري (ويقال ﴿**وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾ على الإصرار على المخالفة)[1].

كذلك ما جاء في النقطة الرابعة، فإن المتصوفة يؤمنون بعدالة جميع

(١) الشيخ أبو القاسم القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق: عبد اللطيف حسن، ط٢، بيروت، ١٤٢٨، ج٢، ٢٧٧.

الصحابة، إلى حد كبير ويساوون بينهم وبين أمير المؤمنين علي سلام الله عليه، فالغزالي مثلاً لا يجوز لعن يزيد بن معاوية عليهما لعائن الله[١]، وغيره من الصوفية يجعل المقامات العالية لأعداء آل محمد صلى الله عليهم[٢]، وهذه هي مشكلة المتصوفة الكبرى وهي (كما يقول أحد الأولياء) التي حدت من معارفهم وجعلتها تدور في فلك باطني معين لا يتعدونه مهما أجهدوا أنفسهم، فغاية ما يصلون اليه، يمثل البداية عند أتباع أمير المؤمنين علي سلام الله عليه، ومبغضي أعدائه.

ثانياً: يمكن ملاحظة لون من التشابه بين بعض فقرات مصباح الشريعة، وكلمات الصوفية، وأهم ما يمكن ملاحظته، ما جاء في الباب الثاني، والباب المائة، من مصباح الشريعة، فجاء في الباب الثاني (إعراب القلوب على أربعة أنواع، رفع وفتح وخفض ووقف، فرفع القلب في ذكر الله تعالى، وفتح القلب في الرضى عن الله تعالى، وخفض القلب في الاشتغال بغير الله تعالى، ووقف القلب في الغفلة عن الله سبحانه). وللقشيري كلام قريب منه وهو (لما كان الإعراب بالحركات الثلاث: الرفع والنصب والجر، والجزم، كان مدار أهل الإشارة برفع هممهم إلى الله تعالى، ونصب أبدانهم في طاعة الله تعالى، وخفض نفوسهم تواضعاً لله تعالى، وجزم قلوبهم عما دون الله تعالى)[٣].

---

(١) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، تقديم: بدوي طبانة، ط١، القاهرة، ١٩٥٧ج٣، ص١٢١. وقد عقد الملا محسن الفيض الكاشاني، بحثاً نقدياً على هامش قول الغزالي هذا، ينظر: الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، ط١، قم، ١٤٢٦، ج٥، ص٣٦١.

(٢) ينظر: ابن عربي، الفتوحات المكية، ط١، قم، د.ت، ج١، ص٢٠٠.

(٣) القشيري، نحو القلوب، وضع حواشيه: مرسي محمد علي، ط١، بيروت، ١٤١٥، ص٤٢.

وجاء في الباب المائة (العبودية جوهرة كنهها الربوبية). وقد يقال قريب منه ما نقله إسماعيل حقي الخلوتي (١١٢٧هـ) عن محمد بن موسى الواسطي[١]، وهو من متصوفة القرن الثالث الهجري؛ أنه قال (أن العبودية جوهرة فطرة الربوبية)[٢].

ثالثاً: ان ثلث مصباح الشريعة تقريباً، يتكون من إحدى رسائل الغزالي، وهي رسالة (منهاج العارفين)، وبأدنى مقارنة بينهما يظهر التشابه الكبير، مع بعض الاختصار والاختلاف.

وهذا ما يجب مناقشته بالتفصيل:

١: بأدنى مقارنة بين نصي المصباح ونحو القلوب، يمكن ملاحظة الصنعة النحوية في كلام القشيري وتطابقه بدقة مع قواعد النحو العربي واصطلاحاته، فقد استخدم الرفع والنصب والجر والجزم، على ضوء التقسيم الذي وضعه سيبويه (١٨٠هـ) في الكتاب تماماً، تبعاً للتمييز بين الأسماء المتمكنة (المعربة) وغير المتمكنة (المبنية) منها[٣]، لذلك لم يذكر الفتح لأنه للأسماء المبنية، بينما نجد نص المصباح بعيد عن التعقيد النحوي هذا، إذ نجد الرفع والفتح سوية، فهو أقرب إلى بساطة اللغة قبل التعقيد وتقعيد القواعد، لذلك من المستبعد جداً أن يكون ما في المصباح مأخوذاً من كلام القشيري،

---

(١) قال عنه القشيري (خراساني الأصل من فرغانة، صحب الجنيد والنوري، عالم كبير الشأن، أقام بمرو، ومات بها بعد العشرين وثلاث مائة) الرسالة القشيرية، تحقيق: الشيخ عبد الحليم محمود، ط١، القاهرة، ١٩٨٩، ج١، ص١٠٨.

(٢) إسماعيل حقي الخلوتي، روح البيان، ط١، بيروت، د.ت. ج٧، ص٤٢٢.

(٣) ينظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، القاهرة، ١٩٨٨، ج١، ص١٥.

بل الأقرب والأرجح أنه ملهم له فكرة العلاقة بين النحو والأخلاق، ثم تأليفه لنحو القلوب!

٢: هناك فرق دلالي كبير بين (العبودية جوهرة كنهها الربوبية) و(العبودية جوهرة فطرة الربوبية)، ففرق بين أن تكون الربوبية كنهاً وحقيقة لجوهرة العبودية، وبين أن تكون العبودية جوهرة للفطرة التي فطر الله الناس عليها، فلا يوجد أي ربط بين الكلمتين، ولا يخفى ما في الأولى من معنىً تنوء به الألفاظ رغم قوتها، دون الثانية.

٣: من جملة رسائل الغزالي، رسالة بعنوان (منهاج العارفين)، طبعها فرج الله زكي الكردي في مصر سنة (١٩٢٤م)، ضمن مجموعة بعنوان (فرائد اللآلئ من رسائل الغزالي)، وتتكون من سبعة وعشرين باباً، هُن أوائل أبواب مصباح الشريعة - خلا الباب الثامن من المنهاج المسمى بباب القيام- مع بعض الاختلاف اليسير، ومخطوطها يعود إلى نهايات النصف الأول من القرن السابع الهجري، بما يقدر (٦٤٣هـ)، أي في حياة السيد ابن طاووس.

ونسبة الرسالة إلى الغزالي، موضع شك عند المحققين، فالغزالي مات في بداية القرن السادس، والى نهاية القرن الثامن لا يوجد ذكر لهذه الرسالة بين مؤلفاته، حتى جاء القرن العاشر الهجري لتنسب له.

فإن أقدم ترجمة وافية لحياة الغزالي وذكر مؤلفاته، وردت في كتاب طبقات الشافعية، لتاج الدين السبكي (٧٧١هـ)، ولم يذكر رسالة منهاج العارفين ضمن مؤلفاته[1]، وإنما نسبت له في كتاب مفتاح السعادة، لطاش

(١) ينظر: تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد، ط١، القاهرة، د.ت، ج٦، ص٢٢٤-٢٢٧.

كبرى (٩٦٨هـ)[١].

وقد لاحظ المهتمون بدراسة الغزالي، أمثال المستشرق الأسباني آسين بلاثيوس (١٩٤٤م) ان رسالة منهاج العارفين خالية من ذكر شيء من مؤلفات الغزالي، الأمر الذي يؤكد ان هذه الرسالة منحولة وليست للغزالي[٢]، ذلك لأن نظام الإحالة معروف في كتابات الغزالي[٣]، بيد انه لم يذكر فيها أياً من مؤلفاته، ولا ذكرها في أيٍ منها.

وهناك مخطوط[٤] لرسالة منهاج العارفين، لكن بعنوان آخر، ولمؤلف آخر، وهي بعنوان(منهاج العارفين في بيان سلك المريدين) للمقري نور الدين ابي الحسن بن يوسف الشافعي، وتاريخها يعود إلى القرن الثاني عشر الهجري.

والذي يظهر من كل هذا، ان رسالة منهاج العارفين، مختصرٌ لم يتم لمصباح الشريعة، فنحلت تارة للغزالي، وأخرى لغيره، ولم يتورع الذي اصطنعها ونحلها لغير أهلها من نسبة بعض كلمات المصباح إلى غير قائليها! كما سيتضح في محله.

وهناك نصوص أخرى من المصباح ظهرت على بعض الألسن بألفاظ مقاربة، وبملاحظة ما تقدم وما سيأتي فهي دلالة على تأثرهم بالمصباح! وسوف تأتي بعض الإشارات اليها في هوامش نص المصباح.

---

(١) ينظر: طاش كبرى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ط١، بيروت، ١٩٨٥، ج٢، ص٣٠٨.

(٢) ينظر: آسين بلاثيوس، روحية الغزالي، ج١، ص٣٨٥. نقلاً عن: الدكتور عبدالرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، ط٢، الكويت، ١٩٧٧، ص٢٤٨.

(٣) ينظر: الدكتور سليمان دنيا، الحقيقة في نظر الغزالي، ط٥، القاهرة، ١٩٩٤، ص٧١.

(٤) مخطوطة في مكتبة جامعة الملك سعود، برقم ٣٣١٧/ ١/ م.

٤: من جملة الظُلامات التي لحقت أهل البيت سلام الله عليهم، بعد غصب الخلافة، نسبة فضائلهم إلى غيرهم، من ألقاب[١] وخصائص[٢] وحِكم وأقوال، وبلغ الأمر ذروته في عهد معاوية إذ كتب إلى ولاته (ادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته)[٣]!

ولا يسع المقام الدخول بتفاصيل هذا، لكن حسبُنا بعض الشواهد، منها قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه (لاتكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا)[٤]، فنُسب بصياغة أخرى للآخرين! حتى صار من الحكم التي تلهج بها ألسنتهم!

أيضاً تكليف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه لأبي الأسود الدؤلي (٦٩هـ) بكتابة مبادئ اللغة العربية، فقال له (الكلام كله أسم وفعل وحرف ..الخ)[٥] وانحو هذا النحو، فكانت هذه نشأة النحو العربي، وقد

---

(١) الثابت في الأخبار ان ألقاب أمير المؤمنين والصديق والفاروق وسيف الله، كلها لأمير المؤمنين علي صلوات الله عليه، لا يشاركه فيها غيره إلا كافر! ينظر: الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٤١١.

(٢) من الخصائص التي نُسبت زوراً إلى غيره سلام الله عليه، سد أبواب المسجد إلا بابه، وولادته بالكعبة!

(٣) إبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٥.

(٤) نهج البلاغة، ص٤٠١.

(٥) أبو القاسم الزجاجي (٣٧٧هـ)، الأمالي، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، القاهرة، ١٩٨٧، ص٢٣٨.

أكد ذلك فحول أهل اللغة كالخليل الفراهيدي[١]، وابو العباس المبرد (٢٨٥هـ)[٢]. ورغم ذلك قال آخرون إن عبيد الله بن زياد هو من قام بذلك[٣]!

أيضاً ما جاء في نهاية دعاء عرفة للإمام الحسين صلوات الله عليه، وهي الفقرة التي تبدأ بـ (إلهي أنا الفقير في غناي، فكيف لا أكون فقيراً في فقري)، والدعاء يرويه السيد إبن طاووس في كتاب الإقبال[٤]، لكن المجلسي يقول بعدم وجود هذه الفقرة في بعض النسخ العتيقة لكتاب الإقبال، كما أنها غير موجودة في كتاب مصباح الزائر لابن طاووس نفسه، فرجَح انها من إضافات بعض مشايخ الصوفية[٥]! ثم استقر رأي البعض على أن الفقرة تعود لإبن عطاء الله السكندري (٧٠٩هـ)، لأنها وردت في حكمه[٦]!

ولو عرفنا منهجية السيد ابن طاووس في تأليفه لكتاب الإقبال، لعرفنا سر عدم وجود الفقرة في بعض نسخه، إذ لم يصنفه دفعة واحدة، بل جعله مفتوحاً لما يتاح له من نصوص فيضيفها فيما بعد، وقد لاحظ محقق كتاب الإقبال ذلك في عدة مواضع، فمع ان السيد انتهى من تصنيف الإقبال سنة

(١) ينظر: ابو الطيب اللغوي (٣٥١هـ)، مراتب النحويين، تحقيق: محمد ابو الفضل، ط١، القاهرة، ١٩٥٥، ص٦.

(٢) المبرد، كتاب الفاضل، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ط١، القاهرة، ١٩٥٦، ص٥.

(٣) ينظر: مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ط٢، بيروت، ١٩٨٦، ص١٩.

(٤) ينظر: السيد إبن طاووس، إقبال الأعمال، قدم له: حسين الأعلمي، ط١، بيروت، ١٤١٧، ص٦٥٩.

(٥) ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٢٢٧.

(٦) ينظر: ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية، تحقيق: احمد خلف الله، ط١، القاهرة، ١٤٣٢، ص١٦٣.

(٦٥٥هـ) فقد أضاف فصولاً جديدة في سنتي (٦٦٠هـ و٦٦٢هـ)[١]، لذلك قال السيد في نهاية كتابه (إن وجد فيها خلل، فلعل ذلك لأجل هذه القاعدة المخالفة لعادات المصنفين)[٢]. أما عدم وجود الفقرة في كتاب مصباح الزائر فأمر طبيعي لأن السيد ابن طاووس لم يذكر دعاء عرفة فيه أساساً[٣]!

أما نسبتها للسكندري فلا يمكن قبولها لسببين:

الأول: إن الفقرة مذكورة في كتاب الإقبال أي قبل ولادة السكندري بثلاث سنوات، لأن كتاب الإقبال تم تأليفه سنة (٦٥٥هـ) بينما ولد السكندري سنة (٦٥٨هـ).

---

(١) ينظر: السيد إبن طاووس، إقبال الأعمال، تحقيق: جواد الأصفهاني، ط١، قم، ١٤١٤، ج١، ص٢٠ (مقدمة المحقق).

(٢) ابن طاووس، الإقبال، تحقيق: الأصفهاني، ج٣، ص٣٦٩. والعجيب أن المحقق حذف الفقرة من دعاء عرفة في نشرته هذه لكتاب الإقبال! رغم انه أكد اعتماده المنهج التلفيقي بين جميع النسخ لعدم وجود نسخة كاملة يمكن اعتمادها أصلاً! ينظر: مقدمته التحقيقية للإقبال، ج١، ص٢١.

(٣) إن سبب القول بأن السيد ابن طاووس لم يذكر الفقرة في كتابه مصباح الزائر، هو تعليق كتب في هامش كتاب البلد الأمين للشيخ إبراهيم الكفعمي (٩٠٠هـ)، ط١، بيروت، ١٤١٨، ص٣٥٢، تعليقاً على قول الكفعمي (ثم ادع بدعاء الحسين عليه السلام، وهو: الحمد لله ...الخ)، جاء فيه (ذكر السيد الحسيب النسيب رضي الدين علي بن طاووس قدس الله سره في كتاب مصباح الزائر ..الخ)، وتصوروا أن هذا التعليق للكفعمي، فاستنتجوا أن الكفعمي نقل الدعاء كاملاً من كتاب مصباح الزائر، ولم يذكر الكفعمي الفقرة، لكن التعليق ليس للكفعمي، بل كما جاء في نهايته (قاله العزيزي)! وبالعودة إلى كتاب مصباح الزائر لابن طاووس لا نجد أصلاً ذكراً لدعاء عرفة! بل انفرد به كتاب الإقبال! فالتعليق ليس دقيقاً!

الثاني: ان الفقرة المذكورة لا يمكن الجزم بأنها من الحكم العطائية، لأن الكتاب مكون من ثلاثة أقسام هي الحكم والمكاتبات والمناجاة، فالفقرة تشكل القسم الثالث أي المناجاة، وهنا يقول الشيخ أحمد زروق الفاسي (٨٩٩هـ) أحد أهم شراح الحكم العطائية؛ في نهاية شرحه للقسم الأول (هذا آخر أبواب الكتاب، ولم يبق بعده إلا مكاتبات تجري مجرى الجامع للكتاب، وآخرها مناجاة؛ فتم الكتاب بأبوابه .. وربما زاد بعض الناس أبواباً، وبعضهم تراجم[١]، ولا يصح شيء من ذلك)[٢]، إذن المناجاة باب مضاف للحكم العطائية، وهناك أبواب أخرى أضيفت فيما بعد ليست منه!

وعلى كل حال سنجد بعض الكلمات في المصباح نُسبت في مصادر أخرى لبعض الصوفية، الأمر الذي أدى بالبعض إلى القول بتأثر المصباح بكلمات الصوفية! وسنحاول في هامش المصباح الإشارة إلى ذلك قدر المستطاع.

وبهذا فإن المعتبر من هذه الإشكالات إنما يطال الاتجاه الأول، أما الاتجاه الثالث فهو بمعزل عنها جميعاً، فمصباح الشريعة، ليس كل ما فيه للإمام جعفر الصادق سلام الله عليه، لأن التأمل في نص مصباح الشريعة يوضح ان الكتاب جاء على طريقة الشرح والتعليقات، فتبدأ أبوابه بحديث عن الإمام الصادق سلام الله عليه، ثم يأتي توضيح للحديث، فيستعان بهذا

---

(١) يقصد الشيخ زروق من التراجم ما جاء في بداية كل باب وما جاء في بداية المناجاة (قال رضي الله عنه) ويقصدون به السكندري؛ إذ يرى انها إضافات من الناس غير مقبولة.

(٢) الشيخ احمد زروق، شرح حكم ابن عطاء الله، تحقيق: عبد الحليم محمود، ط١، القاهرة، ١٩٨٥، ص٢٨٧.

المقام بأحاديث نبوية، وكلمات متنوعة تتصل بموضوع الحديث، ولا يخفى على اللبيب التفاوت الأسلوبي والبلاغي بين فقرات المصباح، الأمر الذي لا يسمح بنسبتها جميعاً الى أصل واحد.

ومن الشواهد على ذلك، ما جاء في نهاية الباب الحادي والسبعين من المصباح (ويطول شرح فضل ذلك)، كذلك ما جاء في الباب التاسع والسبعين (قال الصادق عليه السلام: التوبة حبل الله ومدد عنايته، ولا بد للعبد من مداومة التوبة على كل حال، وكل فرقة من العباد لهم توبة ... وذلك يطول شرحه ههنا).

وأيضاً ما لاحظه الشيخ المصطفوي، ان الباب التاسع عشر من مصباح الشريعة، يبدأ بعبارة (قال الصادق عليه السلام)، وفي نهاية الباب يأتي حديث آخر فيبدأ بنفس العبارة، فإذا كان جميع الكتاب من قول الإمام الصادق سلام الله عليه، فلا معنى لتخصيص روايتين بذكر اسمه سلام الله عليه[1].

وفي مخطوط معتبر للمصباح هناك حديث آخر في هذا الباب يبدأ بـ (قال الصادق عليه السلام)، وفي نفس المخطوط يتكرر الأمر في الباب التاسع والأربعين، والباب المائة، وهذه كلها قرائن معتبرة تؤيد الاتجاه الثالث.

من هو مؤلف مصباح الشريعة؟

الكلام عن مؤلف مصباح الشريعة، يأتي في سياقات مختلفة، وذلك تبعاً لطبيعة التعامل مع المصباح، وقد تقدم أن هناك ثلاثة اتجاهات في هذا المجال، فقد يراد من التأليف الجمع والرواية، وقد يراد منه الصناعة، وتبعاً لذلك

(١) ينظر: مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، تحقيق: الشيخ حسن المصطفوي، ط١، طهران، حجر، ١٣٧٣، ص كب.

نسب تأليف مصباح الشريعة إلى مجموعة من الأعلام، كما يلي:

١: الفضيل بن عياض (١٨٧هـ)، كوفي من بني تميم، وهو على رأس الطبقة الأولى من الصوفية[١]، يروي عن الامام جعفر الصادق سلام الله عليه، إذ يقول عنه الشيخ احمد بن علي النجاشي (٤٥٠هـ) (ثقة عامي، روى عن ابي عبد الله عليه السلام نسخة)[٢].

وقد احتمل الشيخ حسين النوري، بأن مصباح الشريعة، هو تلك النسخة التي رواها الفضيل بن عياض عن الامام جعفر الصادق سلام الله عليه[٣]، إلا ان هذا الاحتمال مما لا دليل عليه، سوى التخمين، فلا يعول عليه، وقد يقال جاء في الباب الثامن والخمسين من المصباح (وسُئل بعضهم عن التواضع فقال: هو أن يخضع للحق وينقاد اليه، ولو سمعه من صبي)، والثابت في المصادر أن الفضيل هو القائل[٤]، وذكره هكذا تواضعاً! فيمكن ترجيح نسبة المصباح إليه! وعلى فرض صحة الترجيح، لا يمكن أيضاً، لأن هذا النص ظهر في بعض مخطوطات القرن العاشر والثالث عشر الهجري، بينما تخلو منه الأقدم من ذلك، والكثير بعدها.

٢: شقيق البلخي (١٩٤هـ)، من أهل بلخ، ومشاهير مشايخ خراسان،

---

(١) ينظر: ابو عبد الرحمن محمد السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط٢، بيروت، ١٤٢٤، ص٢٣.

(٢) الشيخ احمد بن علي النجاشي، فهرست أسماء مصنفي الشيعة، تحقيق: ابراهيم الشبوط، ط١، بيروت، ١٤٣٤، ص٣٩٥.

(٣) ينظر: الشيخ حسين النوري، خاتمة المستدرك، ج١، ٢١٣.

(٤) ينظر: الرسالة القشيرية، ج١، ص٢٨٧.

ومن أوائل الصوفية[١]، والذي يبدو من كلمات الشيخ محمد باقر المجلسي، ان الكثير من أجزاء مصباح الشريعة، تعود اليه، إن لم تكن كلها، ودليله وجود بعض أخبار مصباح الشريعة بسند ينتهي إلى شقيق البلخي[٢]، وشاهده على ذلك ما جاء في كتاب الأمالي للشيخ محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)، واستنتج إن ما في كتاب الأمالي مأخوذ من مصباح الشريعة، وعليه فهو موجود في القرن الخامس الهجري.

ولو عقدنا مقارنة بين ما ورد في مصباح الشريعة، وبين الذي ذكر في الأمالي، لما وجدنا اتفاقاً سوى في هذا، فقد جاء في الباب الثامن والسبعين من مصباح الشريعة (قيل لعيسى بن مريم عليه السلام، كيف أصبحت قال: لا أملك ما أرجو، ولا أستطيع ما أحاذر، مأموراً بالطاعة، منهياً عن المعصية، فلا أرى فقيراً أفقر مني). وجاء في الأمالي (عن شقيق بن ابراهيم البلخي، عمن أخبره من أهل العلم، قال: قيل لعيسى بن مريم عليه السلام، كيف أصبحت يا روح الله ؟ قال أصبحت وربي تبارك وتعالى من فوقي، والنار أمامي، والموت في طلبي، لا أملك ما أرجو، ولا أطيق دفع ما أكره، فأي فقير أفقر مني)[٣].

ومن العجيب ان يحكم الشيخ المجلسي، بنسبة مصباح الشريعة إلى شقيق البلخي، لهذا السبب، فهذه أحاديث مشهور تداولتها الألسن، قلما نجد

---

(١) ينظر: ابو عبد الرحمن محمد السلمي، طبقات الصوفية، ص٦٣.

(٢) ينظر: الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج١، ٣٢.

(٣) الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، الأمالي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط١، طهران، ١٣٨١، ص٩١١.

كتاباً أخلاقياً يخلو منها، وأين هو من تلك الأحاديث التي انفرد بها مصباح الشريعة، والتي لا يوجد لها أي ذكر في أيٍ من الكتب!

وفي السياق ذاته، ذهب الشيخ احمد الاحسائي، إلى ان مصباح الشريعة وصل الينا عن طريق شقيق البلخي، يرويه عن الامام جعفر الصادق سلام الله عليه، إذ يقول (روى شقيق البلخي، عن الصادق عليه السلام، في مصباح الشريعة ...الخ)[١].

وهذا الرأي أكثر وجاهة، ما لم يكن معتمداً على ذاك التشابه بين الروايتين، ولعله مبني على شيء آخر، فشقيق البلخي كان متصلاً بالإمام جعفر الصادق سلام الله عليه، ففي كتب الصوفية، أن شقيقاً سأل الامام الصادق سلام الله عليه، عن الفتوة، فقال له الامام سلام الله عليه، ما تقول أنت، فقال شقيق: إن اعطينا شكرنا، وإن منعنا صبرنا، فقال سلام الله عليه، الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل، فقال شقيق: يا ابن بنت رسول الله، ما الفتوة عندكم، فقال سلام الله عليه، إن اعطينا آثرنا، وإن منعنا شكرنا[٢].

وروى علي بن عيسى الأربلي (٦٩٢هـ)، قال شقيق البلخي (خرجت حاجاً في سنه تسع وأربعين ومائة فنزلنا القادسية فبينا انا انظر إلى الناس في زينتهم وكثرتهم فنظرت إلى فتى حسن الوجه شديد السمرة ضعيف فوق ثيابه ثوب من صوف، مشتمل بشملة في رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً.

فقلت في نفسي هذا الفتى من الصوفية، يريد ان يكون كلاً على الناس

(١) الشيخ احمد الاحسائي، شرح العرشية، ج١، ص٦٨.

(٢) ينظر: القشيري، الرسالة القشيرية، ج١، ص٣٩٤. وأتى الغزالي بعد ذلك ليجعل الحوار بين البلخي وابراهيم بن أدهم! ينظر: الغزالي، الإحياء، ج٤، ص٣١٥.

في طريقهم والله، لأمضين إليه ولأوبخنه، فدنوت منه فلما رآني مقبلاً، قال:

يا شقيق، اجتنبوا كثيراً من الظن، ان بعض الظن اثم.

ثم تركني ومضى، فقلت في نفسي ان هذا الامر عظيم، قد تكلم بما في نفسي، ونطق باسمي، وما هذا الا عبد صالح، لألحقنه ولأسألنه ان يحالني، فأسرعت في اثره فلم ألحقه وغاب عن عيني.

فلما نزلنا واقصة، وإذا به يصلى وأعضاؤه تضطرب، ودموعه تجري، فقلت هذا صاحبي امضى إليه وأستحله، فصبرت حتى جلس، وأقبلت نحوه، فلما رآني مقبلاً، قال: يا شقيق أتلُ ﴿**واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى**﴾ ثم تركني ومضى، فقلت ان هذا الفتى لمن الابدال، لقد تكلم على سري مرتين.

فلما نزلنا زبالة، إذا بالفتى قائم على البئر وبيده ركوة يريد ان يستقي ماء، فسقطت الركوة من يده في البئر، وانا انظر إليه، فرأيته وقد رمق السماء وسمعته يقول:

أنت ربى إذا ظمئت إلى الماء وقوتي إذا أردت الطعاما

اللهم سيدي، ما لي غيرها فلا تعدمنيها

قال شقيق: فو الله لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها، فمد يده واخذ الركوة وملؤها ماء، فتوضأ وصلى أربع ركعات، ثم مال إلى كثيب رمل، فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحركه ويشرب، فأقبلت إليه وسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك، فقال:

يا شقيق لم تزل نعمه الله علينا ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنك بربك، ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا هو سويق وسكر، فو الله ما شربت قط ألذ

منه، ولا أطيب ريحا، فشبعت وريت وبقيت أياما لا اشتهى طعاما ولا شرابا، ثم اني لم أره حتى دخلنا مكة فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب، في نفس الليل قائماً يصلي بخشوع وانين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح، ثم قام فصلى الغداة وطاف بالبيت أسبوعاً، فخرج فتبعته وإذا له غاشية وموال وهو على خلاف ما رايته في الطريق، ودار به الناس من حوله يسلمون عليه، فقلت لبعض من رايته يقرب منه، من هذا الفتى فقال هذا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقلت قد عجبت ان تكون هذه العجائب الا لمثل هذا السيد)[1].

والذي يحسب لصالح هذا الرأي نسبة المصباح إلى شقيق البلخي في المخطوطة (ف) وتأريخ كتابتها (٧١١هـ)، فقد جاء في مقدمتها (فهذا كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، من تصانيف أكمل المتقدمين، وأفضل المتأخرين، الشقيق البلخي، غفر الله له).

ولا يمكن القطع من خلال هذا بأن المصباح كله من تصنيف شقيق، كيف وقد وردت بعض نصوصه منسوبة للإمام الصادق سلام الله عليه في القرن الرابع الهجري، وتكررت النسبة في القرن الخامس، ثم نسبه إلى الإمام الصادق سلام الله عليه، السيد ابن طاووس، في القرن السابع الهجري، كما أن هناك مخطوطات أقدم من (ف) تصرح بذلك، كمخطوطة (ط) ومخطوطة اليمن، فالأولى كتبت سنة (٦٥١هـ) والثانية بسنة (٦٩٢هـ)، فيترجح بذلك

(١) علي بن عيسى الأربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، قدم له: احمد الحسيني، ط١، قم، ١٤٢١، ج٢، ص٧٤٤.

أن تصنيف شقيق للمصباح إن ثبت فهو بمعنى الشرح لكلمات الإمام الصادق سلام الله عليه، والله العالم.

٣: هشام بن الحكم (١٩٩هـ)، من أصحاب الامام جعفر الصادق سلام الله عليه، وأحذقهم في علم الكلام[١]، ونُسب اليه مصباح الشريعة، على ما صرح به الشيخ عبد الله أفندي الأصفهاني، ولا يُعلم هل هذه النسبة تعني من التأليف جمع الكتاب وروايته، أم صناعته ؟ والذي يبدو أن المقصود هو المعنى الثاني، وعلى أي حال نفى الأصفهاني هذه النسبة، لسببين، الأول: ان مصباح الشريعة يشتمل على الرواية عن جماعة متأخرين عن هشام، الثاني: ان في مصباح الشريعة مضامين تنادي على انه ليس لهشام[٢].

لكن السبب الأول غير صحيح، لأن كل الذين ذكروا في مصباح الشريعة متقدمون على هشام، سوى سفيان بن عيينة، وأيضاً لا يصح أن يقال متأخر عنه، لأنه من طبقته، لذلك قال الشيخ حسين النوري (وهذا منه رحمه الله مع طول باعه عجيب)[٣]، أما السبب الثاني، فوجيه ومقبول، لأن مضمون مصباح الشريعة، أخلاقي وعظي، وهو بعيد تماماً عن توجهات هشام الكلامية والعقلية، كما أنه غير موجود في قائمة كتب هشام التي ذكرها الشيخ أحمد بن علي النجاشي[٤].

٤: نظام الدين سليمان الصهرشتي (٤٦٠هـ تقريباً)، أحد فقهاء

---

(١) ينظر: الكشي، الرجال، ص١٨٦.

(٢) ينظر: الشيخ عبدالله أفندي الأصفهاني، رياض العلماء، ج٦، ص٥٤.

(٣) الشيخ حسين النوري، خاتمة المستدرك، ج١، ٢٠٨.

(٤) ينظر: الشيخ احمد بن علي النجاشي، فهرست أسماء مصنفي الشيعة، ص٥٥٨.

الإمامية، ومن تلامذة الشيخ الطوسي، والسيد المرتضى (٤٣٦هـ)[١]، وله كتاب بعنوان (إصباح الشيعة بمصباح الشريعة).

قال السيد حسن الصدر (١٣٥٤هـ) (وأظن قوياً أن كتاب مصباح الشريعة المنسوب إلى الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، لنظام الدين الصهرشتي .. وهو كتابه إصباح الشيعة بمصباح الشريعة، وانه خفف فقيل: مصباح الشريعة، والله أعلم)[٢].

وكما هو واضح فإن نسبة مصباح الشريعة إلى سليمان الصهرشتي، تأتي في سياق نفي نسبته إلى الامام الصادق سلام الله عليه، بيد ان هذا الظن ليس صحيحاً، للأسباب التالية:

ان سليمان الصهرشتي أساساً ليس لديه كتاب بعنوان (إصباح الشيعة بمصباح الشريعة)، وأول من نسبه اليه اشتباهاً هو الشيخ محمد باقر المجلسي[٣]، وإنما هو من مؤلفات الشيخ قطب الدين الكيدري (بعد٦١٠هـ)، كما قال الشيخ عبد الله أفندي الأصفهاني[٤]، وأثبت ذلك محقق كتاب (إصباح الشيعة بمصباح الشريعة)، الشيخ ابراهيم البهادري[٥]، بما لا مزيد عليه.

كما ان هناك فرقاً كبيراً بين كتاب (إصباح الشيعة بمصباح الشريعة)،

(١) ينظر: الأصفهاني، رياض العلماء، ج٢، ص٤٤٥.

(٢) السيد حسن الصدر، تكملة أمل الآمل، تحقيق: حسين علي محفوظ، ط١، بيروت، ١٤٢٩، ج٣، ص١٢٨.

(٣) ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج١، ص١٥.

(٤) ينظر: الأصفهاني، رياض العلماء، ج٢، ص٤٤٦.

(٥) ينظر: الشيخ قطب الدين الكيدري، اصباح الشيعة بمصباح الشريعة، تحقيق: الشيخ البهادري، ط١، قم، ١٤١٦، ص١٢.

ومصباح الشريعة، فالأول كتاب فقهي، والثاني كتاب أخلاقي، ثم ان الشيخ محمد باقر المجلسي، ذكرهما في جملة مصادره، ولو كانا كتاباً واحداً، لأشار إلى ذلك، اما كون مصباح الشريعة، تخفيفاً لـ (إصباح الشيعة بمصباح الشريعة)، ففيه ان الأول عنوانه الكامل هكذا (مصباح الشريعة، ومفتاح الحقيقة)، وهذا لا يعقل ان يكون تخفيفاً لذاك.

٥: أحد العلماء المحققين، وهذا رأي الشيخ حسن المصطفوي، ويأتي في سياق نفي نسبته إلى الإمام الصادق سلام الله عليه، إذ يقول (والذي نقطع به هو أن مؤلف هذا الكتاب الشريف أحد العلماء المحققين، وهو من أهل المعرفة واليقين، ومن أعاظم رؤساء الروحانيين .. ويكفي في مقام عظمة هذا الكتاب الشريف اشتباه جمع من الأعاظم والقول بأنه من تأليف الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، أو من تقريره وإملائه)[1]. ولا يخفى ما فيه من مبالغة.

عدد أبواب مصباح الشريعة

في ذيل مقدمة المخطوطات المتأخرة لمصباح الشريعة، تصريح بأن الكتاب مبني على مائة باب، لكن العدد يزداد في بعض المخطوطات، إلى مائة وواحد، فهناك باباً قد أُضيف إلى مصباح الشريعة فيما بعد، ويرى الشيخ حسين النوري ان الباب المضاف هو باب معرفة الصحابة، وبعض المخطوطات تنفرد بإضافة باب جديد عنوانه: في المواعظ، لكن من غير أن يختل أمر الترقيم.

---

(١) ينظر: مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، تحقيق: الشيخ حسن المصطفوي، ط١، طهران، حجر، ١٣٧٣. المقدمة.

وبالرجوع إلى أقدم المخطوطات المعتبرة نجد أن باب معرفة الصحابة غير موجود، فيمكن القول، كما احتمل الشيخ النوري؛ بأنه من إضافات بعض النساخ، والراجح انه من إضافات الزيدية والإسماعيلية لوجوده في مخطوطاتهم.

وهناك باب بعنوان (معرفة الأئمة عليهم السلام) موجود في مخطوط القرن الثامن الهجري (ف)، لكنه فقد فيما بعد في مخطوطات القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر من الهجرة، ثم ظهر مجدداً في بعض مخطوطات القرن الثالث عشر، وكثير منها خالٍ عنه، فمثلاً نجده في مخطوطة العتبة الرضوية المقدسة بمشهد، ورمزها (ص)، كذلك في مخطوطة دار الكتب المصرية التي اعتمد عليها يوسف أحمد (وهي عارية عن باب معرفة الصحابة)، ولكنه مفقود في مخطوطات أخرى تعود لنفس الحقبة الزمنية.

كذلك لا نجده في مخطوطي القرن السابع، وقد ظهر أمرهما ولا يعقل الإبقاء على باب معرفة الأئمة عليهم السلام فيهما لما للمصباح من مكانة منهجية في مدارس الزيدية والاسماعيلية! فهم أساساً لا يؤمنون بالأئمة الإثني عشر سلام الله عليهم، وهذا الباب المعنون بمعرفة الأئمة عليهم السلام، يرويه الحسين بن حمدان الخصيبي (٣٥٨هـ) في كتابه الهداية الكبرى[1].

أما الباب الآخر الذي أُضيف إلى مصباح الشريعة في بعض المخطوطات، فعنوانه: في المواعظ، وقد انفردت به مخطوطة في مكتبة كاشف الغطاء في النجف الأشرف كتبت في عام (١٢٦١هـ)، والتحقيق ان ناسخ المخطوطة دمج بابين عن طريق السهو، وهما الباب السادس والعشرون

(١) ينظر: الحسين بن حمدان الخصيبي، الهداية الكبرى، تحقيق: مصطفى الحمصي، ط١، بيروت، ١٤٣٢، ص٤٤٤.

والسابع والعشرون، فجعلهما باباً واحداً، وعندما وصل إلى آخر الأبواب صار الترقيم تسعة وتسعين، فاضطر إلى أضافة باب جديد عنوانه: في المواعظ.

وهذا الباب الجديد، موجود في أكثر المخطوطات، كملحق لمصباح الشريعة، وليس جزءاً منه، وهو عبارة عن حوار بين الأستاذ والتلميذ، وبدايته (روي عن الصادق عليه السلام انه قال لبعض تلامذته يوماً أي شيء تعلمت مني، فقال ثمان مسائل، قال قصها علي لأعرفها، قال ... الخ).

وهذه الرواية يرويها ابو الحسين ورام بن أبي فراس المالكي (٦٠٥هـ)[١]، ولكن الغزالي ينقل المحاورة بأسلوب آخر بين شقيق البلخي وتلميذه حاتم الأصم[٢]. وهذا أيضاً يعضد علاقة البلخي بمصباح الشريعة، ويمكن الحدس بأن المالكي رواها عن مصباح الشريعة، لكن بسبب نسبته جميعاً للإمام الصادق سلام الله عليه، نسبها أيضاً، الأمر الذي قد يستفاد منه كقرينة أخرى على وجود مصباح الشريعة قبل عصر ابن طاووس.

وبناءً على أن منهاج العارفين المنحول للغزالي، هو مختصر غير تام لمصباح الشريعة، يظهر باب آخر مفقود من المخطوطات التي كتبت بعد حياة السيد ابن طاووس، وهو الباب الثامن من المنهاج المسمى بباب القيام، ولأن مخطوط المنهاج كتب في حياة السيد ابن طاووس، أي نحو (٦٤٣هـ)، فهو أقدم مخطوط يتصل بالمصباح؛ ولتمام الفائدة سوف يُدرج في هامش الباب الثامن من المصباح.

---

(١) ينظر: ورام المالكي، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام)، ط١، النجف الأشرف، ١٩٦٤، ج١، ص٢٥٥.

(٢) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١، ص٦٤.

المستوى المعرفي والأخلاقي لمصباح الشريعة

يقول السيد الشهيد محمد الصدر (١٤١٩هـ) رضوان الله عليه، ان المستويات الأخلاقية التي يمكن الحديث فيها ثلاثة، الأول: المستوى الإلزامي في الشريعة، أي مستوى الالتزام بالواجبات وترك المحرمات، الثاني: المستوى غير الإلزامي من الشريعة، أي مستوى المستحبات والمكروهات، والذي يعتبر عادة أول الخطوات نحو الكمال الأخلاقي، الثالث: مستوى التعاليم المعمقة للسلوك الأخلاقي، وهذا لا يتيسر إلا لأهله[١].

وجاء في نهاية الباب الحادي والعشرين من مصباح الشريعة (هذا ما يحتمل القلوب فهمه، والنفوس استعماله، وما لا يشرف عليه إلا عباده المقربون المخلصون، أكثر من أن يحصى، وهم أربابه وهو شعارهم دون غيرهم)، فيمكن القول بأن المصباح يدور في نهاية المستوى الثاني، ويمس المستوى الثالث أو يكاد !

ومن جانب آخر، أي المستوى النظري، ورغم ان كتاب المصباح يكاد أن يكون مهتم فقط في الجانب العملي، إلا ان فيه إشارات رفيعة تُظهر جانباً مما يعرف بفلسفة الأخلاق الإسلامية، الأمر الذي يدحض ما بت به المستشرقون من خلو الفكر الإسلامي من نظرية أخلاقية، وخضوعه لنظريات فلاسفة اليونان كأفلاطون وأرسطو[٢]! وللأسف فإن هذه الدعوى صحيحة من الناحية التطبيقية، لهيمنة الفلسفة الاخلاقية اليونانية، فقد شكل

---

(١) ينظر: السيد محمد الصدر، فقه الأخلاق، ط١، بيروت، ١٤٢٨، ج١، ص١٢.

(٢) ينظر: الدكتور احمد محمود صبحي، الفلسفة الاخلاقية في الفكر الاسلامي، ط١، القاهرة، ١٩٨٣، ص١٦.

المبدأ الآرسطي المعروف بالوسط العادل، مقياساً للفضائل، فالفضيلة وسط بين رذيلتين، فالكرم مثلاً، وسط بين البخل والإسراف[١]، إذ أعتمد الفلاسفة المسلمون على هذا المبدأ، وأسسوا عليه فلسفتهم الأخلاقية[٢].

لكن لو لاحظنا ما جاء في الباب الثالث والخمسين من مصباح الشريعة (ولا يسمى سخياً إلا الباذل في طاعة الله، ولوجهه، ولو كان برغيف، أو شربة ماء)، فإن الفضائل الخلقية تبعاً لهذه القاعدة لا تتحدد وفقاً لمبدأ الوسط الآرسطي، وإنما بالنظر إلى الهدف المنشود من أي تصرف وفعل يقوم به الإنسان، إذ لو أنفق الفرد جميع ما يملك في سبيل هدف مقدس، لما كان مسرفاً، كذلك لو أحجم عن إعطاء درهم واحد ومنعه من جهة باطل، ما كان بخيلاً، لأن المعيار هو الغاية والهدف من الفعل[٣]، وجاء ما يؤكد ذلك في

---

(١) ينظر: أرسطو طاليس، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، تقديم وتعليق: بارتلمي سانتهلير، ترجمة: احمد لطفي السيد، ط١، القاهرة، ١٩٢٤، ص٢٢٥.

(٢) ينظر: ابو علي بن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: عماد هلالي، ط١، قم، ١٤٢٦، ص١٠٥.

(٣) ينظر: السيد محمد الصدر، فقه الأخلاق، ج١، ص٢٧. وهذه القاعدة الأخلاقية تؤسس لمنهج أخلاقي مستقل في خصوص مدركات العقل العملي، فهي ليست أمور واقعية الى درجة تتيح لها الحاكمية على الأفعال الإلهية، كما أنها ليست أمور إعتبارية لا قيمة لها بمعزل عن العقول المدركة لها، إنما هي أمور تستمد واقعيتها من الأوامر الإلهية، بمعنى ان الفعل الخلقي إنما يتحدد لما تترتب عليه من نتائج يريدها الله تعالى ويرضاها، خلافاً لأخلاق الواجب التي تنبعث قيمتها من صميم الفعل الخلقي، وخلافاً لأخلاق السعادة التي تحدد لما يتفق عليه الناس، وقد أشار السيد الشهيد محمد الصدر إجمالاً لهذا المذهب، ينظر: منهج الأصول، ط١، النجف الأشرف،

الباب السابع والثمانين (وإن أمسك، أمسك لله، وإن أنفق أنفق فيما أمره الله عز وجل، ويكون منعه وعطاؤه، في الله عز وجل).

كلمة أخيرة

منذ القرون الأولى صنف المتصوفة المسلمون العديد من الكتب الأخلاقية، وقد لاقت انتشاراً واسعاً، إلى يومنا هذا، ولو كان مصباح الشريعة مستلاً منها، أو أحدها، لما خفي الأمر، نعم هناك تشابه بين مصباح الشريعة، وبين العديد من الكتب الأخلاقية للمتصوفة، كقوت القلوب للمكي، وتنبيه الغافلين للسمرقندي، والرسالة للقشيري، والإحياء للغزالي، إلا ان هذا التشابه لا يتعدى مساحة محددة، وهي القصص والأحداث التي تتناقلها جميع الكتب الاخلاقية، والتي تنطوي على العبرة والموعظة، ولو قسنا هذه الأمور إلى مصباح الشريعة، لوجدناها هوامش سجلت على محور أصيل تمثل بأقوال الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه.

تلك الأقوال التي لا نجد لأكثرها أي ذكر في أيٍ من كتب المتصوفة، المتأخر منها والمتقدم، مع العلم انها تعالج المواضيع ذاتها، ففي مصباح الشريعة كلمات اختص بها دون غيره من الكتب، وفيها من جهة المعنى والدلالة شموخ وعلو تعجز عنه قرائح كبار المتصوفة، وتنحسر دونه ظنون الحكماء، وفيه من (الأسرار والإشارات التي يبعد صدورها عن غير المعصوم)[1].

١٤١٧، ج١، ص١٦٠. وللمزيد حول ذلك ينظر: الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، الأخلاق في القرآن الكريم، ترجمة: كاظم صالحي، ط١، بيروت، ١٤٢٥ج٣، ص١٤٦.

(١) العلامة محمد تقي حجة الاسلام، صحيفة الأبرار، ج٢، ص٥٥٦.

نشرات مصباح الشريعة

حظي مصباح الشريعة بعناية خاصة من لدن علماء الإمامية، على مر العصور، فهناك الكثير من النسخ الخطية له في مختلف المكتبات الخاصة والعامة، وعليه العديد من الشروح والترجمات في اللغة الفارسية، وله نشرات كثيرة، سنحاول تتبعها قدر الإمكان.

بداية كان انتشار المصباح عن طريق الطبع الحجري، فطبع على الحجر مع كتاب جامع الأخبار، أما انتشاره بالطبع الحديث، فكان مرافقاً لشروحه في اللغة الفارسية، طبع في طهران مع ترجمة وشرح الملا عبد الرزاق مير القاري الكيلاني (أحد اعلام القرن الحادي عشر الهجري)[١]، وطبع في شيراز، مع ترجمة وشرح أبي القاسم عبد النبي الحسيني الذهبي (١٢٨٦هـ)، بعنوان: مناهج أنوار المعرفة[٢]، وللشيخ حسين الزاهدي (من علماء القرن الحادي عشر)، شرح غير كامل سماه بيان الأسرار[٣]، ثم بترجمة وشرح الشيخ حسن المصطفوي[٤]، وهناك شرح كبير لمصباح الشريعة، كتبه الشيخ حسين انصاريان، بعنوان: العرفان الاسلامي[٥]، وقد ترجم إلى العربية.

(١) ينظر: ملا عبد الرزاق كيلاني، شرح فارسي مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، تحقيق: جلال الدين محدث أرموي، ط١، طهران، ١٣٤٤.

(٢) ينظر: ابو القاسم بن عبد النبي ميرزا بابا الشيرازي، مناهج أنوار المعرفة، در شرح وكشف وبيان أسرار كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ط٢، تهران، ١٣٨٤.

(٣) ينظر: الشيخ آغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٢، بيروت، د.ت، ج٢٦، ص١١٥.

(٤) ينظر: الشيخ حسن المصطفوي، ترجمة وشرح مصباح الحقيقة ومفتاح الحقيقة، ط١، طهران، د.ت.

(٥) ينظر: حسين انصاريان، عرفان اسلامي، شرح جامع مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ط١، طهران، ١٣٦٣.

وله ترجمات أخرى من دون شرح، كترجمة محمد باقر الخراساني[١]، وزين العابدين الخلخالي[٢]، وعباس عزيزي[٣]، وعلي أكبر صداقت[٤]، وجلال الدين برنجيان[٥]، وغيرها، كما وترجم للغة الانكليزية على يد منى البلگرامي، بعنوان The Latern وصدر في لندن سنة ١٩٨٩[٦].

أما في اللغة العربية، فكما سبق فانه نشر أولاً على الحجر مع كتاب جامع الأخبار، ثم نشره الشيخ حسين الأعلمي[٧]، ثم نشره الدكتور علي زيعور[٨]، بعد ذلك نشره يوسف أحمد[٩]، وأخيراً الدكتور عمرو بن معد يكرب الهمداني[١٠].

إلا ان المهم من بين كل هذه، هي نشرة الشيخ حسن المصطفوي، لما فيها

---

(١) ينظر: مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ترجمة: محمد باقر ساعدي خراساني، ط١، طهران، ١٣٨١ ق.

(٢) ينظر: مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ترجمة: زين العابدين كاظمي خلخالي، تهران، حجر، ١٣٦١.

(٣) ينظر: مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ترجمة: عباس عزيزي، ط٤، قم، ١٣٨٩.

(٤) ينظر: مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ترجمة: علي أكبر صداقت، ط١، قم، ١٣٨٤.

(٥) ينظر: مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ترجمة: جلال الدين برنجيان، ط٢، طهران، ١٣٨٢. ونسب تأليف المصباح في هذه الترجمة إلى شقيق البلخي.

(٦) ينظر: محمد حسين الجلالي، فهرس التراث، ط١، قم، ١٤٢٢، ج١، ص١٤٢.

(٧) ينظر: مصباح الشريعة، مؤسسة الأعلمي، ط٢، بيروت، ١٩٨٣.

(٨) ينظر: كتابا الصادق عليه السلام، حقائق التفسير القرآني ومصباح الشريعة، اشراف: الدكتور علي زيعور، ط١، بيروت، ١٩٩٣.

(٩) ينظر: مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، تحقيق: السيد يوسف أحمد، ط١، بيروت، ٢٠١٣.

(١٠) ينظر: مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، تحقيق: عمرو بن معد يكرب الهمداني، ط١، دمشق، ٢٠٢٠.

من مقدمة جيدة حول الكتاب، جاء نسجها على غرار ما كتبه الشيخ حسين النوري، في خاتمة المستدرك، والأمر الآخر وهو المهم، اهتمام الشيخ حسن المصطفوي في متن المصباح قبل ترجمته وشرحه، فنشره أولاً مفرداً على الحجر، مع تقديم ووصف للنسخ التي اعتمد عليها في التحقيق[1]، أما دون ذلك فهي نشرات لايعول عليها، كما سيأتي.

تقييم عام لنشرات مصباح الشريعة

كما تقدم فإن نشرات المصباح، بعضها فارسي، والآخر عربي، والنشرات الفارسية، ما خلا نشرة المصطفوي تهتم بالدرجة الأولى في الترجمة والشرح الفارسيين، ويأتي النص الأصل على هامش النشرة، الأمر الذي لا يجعل منه نصاً محققاً، وبالتالي تبقى الحاجة قائمة إلى نشرة تهتم بالنص الأصل لمصباح الشريعة، وأول من عمل على هذا هو الشيخ حسن المصطفوي، ونشرة المصطفوي اعتمدت بالدرجة الأساس على مخطوطة كتبت في طهران سنة (١٣٠١هـ)، أي في بداية القرن الرابع عشر الهجري.

أما النشرات العربية، فأولها نشرة الشيخ حسين الأعلمي، وهي نشرة سقيمة غير محققة، تكتنفها أخطاء فاحشة شوهت النص إلى درجة كبيرة، سقط منها ثلاثة أبواب (الباب السادس والأربعون: في الكلام، والباب السابع والأربعون: في المدح والذم، والباب الثامن والأربعون: في المِراء)، كما ان ترتيب الأبواب جاء بصورة عبثية من حيث التقديم والتأخير، فجعل الباب الأخير أول الأبواب، وقسمه إلى بابين، ثم أُضيفت عبارة ليست من

(١) ينظر: مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، تحقيق: الشيح حسن المصطفوي، ط١، طهران، حجر، ١٣٧٣.

النص للجمع بين البابين!

أما نشرة الدكتور علي زيعور، فهي أيضاً غير محققة، بل اعتمدت على ما يبدو على النشرة الفارسية للملا عبد الرزاق الكيلاني، وفيها تصرف في النص الأصل، إذ حذف منها كل عبارات (عليه السلام) بعد أسم الامام الصادق سلام الله عليه، وهذه خيانة في النشر.

ثم جاءت نشرة يوسف أحمد، وهي نشرة محققة ومصدرة بمقدمة، واعتمد التحقيق على مخطوطة دار الكتب المصرية رقم (٢٥٢٢)، كتبت في (١٢٨٨هـ)، ومما يلاحظ عليها أن المحقق استبدل كل عبارات (عليه السلام) بعد أسم الامام الصادق سلام الله عليه، بـ (رضي الله عنه)، وهذا تلاعب بالنص، وخلافاً للأمانة العلمية.

أما مقدمته فبغض النظر عما فيها من إساءة وجهل بعقائد الشيعة، فيرى فيها ان سبب إنكار نسبة الكتاب إلى الامام الصادق سلام الله عليه من قبل بعض العلماء، يعود إلى اعتدال مصباح الشريعة وعدم مبالغته في التشيع، ثم يستنكر ما جاء حول الأئمة سلام الله عليهم في حديث سلمان المحمدي رضوان الله عليه، ويراه مخالفاً للكتاب والسنة، وهذا كلام جاهلٍ لاهٍ لا وزن له.

وأخيراً نشرة الهمداني، فقد امتازت باعتمادها على مخطوطة كتبت في نهاية القرن السابع الهجري (٦٩٢هـ)، وهي من المخطوطات الاسماعيلية، الأمر الذي يستدعي حذراً من هذه المخطوطة للاختلاف العقائدي الذي قد يدعو للتلاعب بالنص، ومن أبرز علامات ذلك ما جاء في الباب السابع والستين إذ وصفت القرآن بأنه مخلوق! أيضاً ما جاء في الباب الرابع والثمانين إذ ذكرت حديث ثابت في نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

صلوات الله عليه، ونسبته لعمر بن الخطاب! فضلاً عن خلوها من باب معرفة الأئمة عليهم السلام، وهو باب موجود في مخطوطة مكتبة هارفارد المعاصرة للمخطوطة الاسماعيلية! كما نجد باب معرفة الصحابة فيها وكأنه بديلاً لمعرفة الأئمة عليهم السلام، ومما يؤيد ذلك خلو مخطوطة هارفارد من باب معرفة الصحابة! والأمر ذاته ينطبق على مخطوطة (ط) الزيدية!

أما تحقيق النص، فقد جاء وفق القواعد التحقيقية، لكن أهم ما يلاحظ عليه تخريجه للكثير من نصوص المصباح من كتاب البحار للمجلسي! في حين ان المصباح يعتبر أحد مصادر البحار التي أعتمدها المجلسي. الأمر الذي تبقى معه الحاجة قائمة إلى تحقيق آخر يعتمد على مخطوطات ومصادر أقدم وأكثر، وهذا ما سنعمل عليه إن شاء الله تعالى.

المخطوطات

هناك العديد من المخطوطات لمصباح الشريعة في العالم الإسلامي، بقيم متفاوتة، وقد تم تصفح الكثير منها في أماكن مختلفة، ولا يسع المقام إلى وصفها جميعاً، لكن أشير إلى المهم منها والذي كان عليه العمل في التحقيق:

١: مخطوطة مكتبة أمبروزيانا في إيطاليا، وهي ضمن مجموعة من الرسائل الزيدية، تحت رقم (S/ ١٨٦)، والمصباح فيها كامل بواقع تسع وأربعين صفحة، في كل صفحة ٢٤ سطراً تقريباً، وخطها قريب للخط الكوفي، وعليها تصحيحات، واسم ناسخها (مؤيد)، وتأريخ كتابتها عام(٦٥١هـ) نشر صورتها بلا تحقيق، السيد محمد حسين الحسيني الجلالي في شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية، ضمن منشورات: The Open School / ٢٠٠٣. ورمزها (ط). والظاهر أنها أقدم مخطوطة للمصباح!

٢: مخطوطة مكتبة جامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية، (MS Arab ١٢٤ ٩٦-M٥٥)٤٧))، وهي كاملة وعدد صفحاتها ١٩٥ صفحة، في كل صفحة أحد عشر سطراً، كتبت بخط النسخ بوضوح وبلونين، مجهولة الكاتب، وتأريخ كتابتها عام (٧١١هـ)، وفيها تملك لـ (محمد ... بن المرحوم الشيخ محمد بن الشيخ أحمد قدس سره، ٩١١هـ)، وفيما بعد دخلت في تملك آخر كما في آخر صفحاتها (دخل في نوبة الفقير محمد سعيد الكيلاني، سنة ٩٥١)، ورمزها (ف).

٣: مخطوطة المكتبة الشرقية العراقية للآباء المرسلين الكرمليين في بغداد، وعدد أوراقها ٢٥٨، في كل صفحة ١٠ أسطر تقريباً، وتحت كل سطر عربي ترجمة فارسية له، كتبت بخط النسخ بصورة واضحة، وهي كاملة، مجهولة الكاتب، كتبت في عام ٩٣٢هـ، وقد حصلنا على صورة لها من مكتبة كاشف الغطاء في النجف الأشرف، برقم ١٢٨٦٦، ورمزها (ع).

٤. مخطوطة المكتبة المركزية في العتبة الرضوية المقدسة بمشهد في إيران (كتابخانة مركزي ومركز اسناد استان قدس رضوي)، وعدد أوراقها ٥٣، في كل صفحة ١٥ سطر، برقم (٧٧٣)، كتبت بخط نستعليق، وهي كاملة، وتاريخ كتابتها ١٠٤٤هـ، بيد محمود بن شجاع الدين الحسيني، ورمزها (ش).

٥: مخطوطة مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، في النجف الأشرف، وعدد صفحاتها ٢٦، وفي كل صفحة ١٣ سطر، برقم (٣٦٠)، بخط فارسي، وفيها نقص كبير من الباب الثاني إلى الباب الخامس والسبعين، وتاريخ كتابتها ١٠٨١هـ، وناسخها محمد سعيد الخاتون آبادي، ورمزها (ا).

٦: مخطوطة مكتبة الحكيم العامة في النجف الأشرف، وعدد صفحاتها

١٣٣، وفي كل صفحة ١٤ سطر، برقم (٢-١٩٤٥) كتبت بخط الثلث، وهي كاملة، مجهولة التاريخ والناسخ، وعليها تملك بتاريخ ١٠٩٥هـ، فهي إذن أقدم من ذلك، ورمزها (ب).

٧: مخطوطة مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، في النجف الأشرف، في كل صفحة ١٤ سطر، برقم (١٢٩)، بخط نستعليق، وهي كاملة، تاريخ كتابتها ١١٤٦هـ، بيد عبد الغني بن محمد رضا الأبهري، ورمزها (ج).

٨: مخطوطة مكتبة كاشف الغطاء، في النجف الأشرف، عدد صفحاتها ٥٧، وفي كل واحدة ١٩ سطر، برقم (١٠٣)، بخط عربي، وهي كاملة، وتاريخ كتابتها ١٢٣٩هـ، بيد محمد قلي أبو أوغلي، ورمزها (د).

٩: مخطوطة مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، في النجف الأشرف، في كل صفحة ١٤ سطر، برقم (١٦٦٥)، بخط عربي، وهي كاملة، تاريخ كتابتها ١٢٤٤هـ، مجهولة الناسخ، ورمزها (هـ).

١٠: مخطوطة مكتبة كاشف الغطاء، في النجف الأشرف، عدد صفحاتها ١٥٠، وفي كل واحدة ٩ سطر، برقم (٩٣٣)، بخط فارسي، وهي كاملة، وتاريخ كتابتها ١٢٦١هـ، مجهولة الناسخ، ورمزها (ك).

١١: مخطوطة المكتبة المركزية في العتبة الرضوية المقدسة بمشهد في إيران (كتابخانة مركزي ومركز اسناد استان قدس رضوي)، في كل صفحة ١٩ سطر، برقم (٤٩٦٠٩)، وهي كاملة، مجهولة التاريخ، ويظهر انها تعود إلى نهايات القرن الثالث عشر الهجري، وناسخها محمد صادق بن علي أكبر، ورمزها (ص).

١٢: مخطوطة المتحف العراقي في بغداد، عدد أوراقها ١٠٨، أسطر الصفحة ١٧، برقم (٢٢٧٩) كاملة مجهولة الكاتب، وخطها عربي واضح، كتبت في عام ١٢٩٤ هـ. ورمزها (م).

منهج التحقيق

الهدف الأساس الذي تسعى اليه مختلف المناهج هو الوصول إلى النص الحقيقي أو أقرب ما يكون اليه عن طريق الإفادة من المخطوطات، وهناك من يثبت في الهامش ما تختلف فيه المخطوطات، وهذه الطريقة هي السائدة تقريباً في التحقيق، ومن جملة مبرراتها الحفاظ على المخطوطات، والحذر من ان تمتد اليها يد العفاء، كذلك تتيح للقارئ المقارنة بين المخطوطات.

وفي المقابل هناك من يرى سقم هذه الطريقة فليس التحقيق عملية آلية تجمع المخطوطات في مكان واحد، بقدر ما هي عملية لاستخلاص الصواب من بين المخطوطات، وليس هناك من داع لإثبات كل أخطاء المخطوطات في الهامش، خصوصاً مع توفر وسائل الحفظ لها، وفي هذا السياق جاء تحقيق المصباح، لكن مع وصف لأهم المخطوطات، مع ذكر أهم الموارد التي اختلفت فيها المخطوطات المعتمد عليها في الهامش، مع التعويل على أقدم المخطوطات ما ساعد المعنى عليه، وخصوصاً المخطوطة (ط) لقيمتها التاريخية إذ كتبت في عام (٦٥١هـ)، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

نماذج من صور المخطوطات

واجهة المخطوطة "ط"

نهاية المخطوطة "ط"

واجهة المخطوطة "ف"

واجهة المخطوطة "أ"

واجهة المخطوطة "ش"

واجهة المخطوطة "ع"

واجهة المخطوطة "ب"

واجهة المخطوطة "هـ"

واجهة المخطوطة "ص"

واجهة المخطوطة "ج"

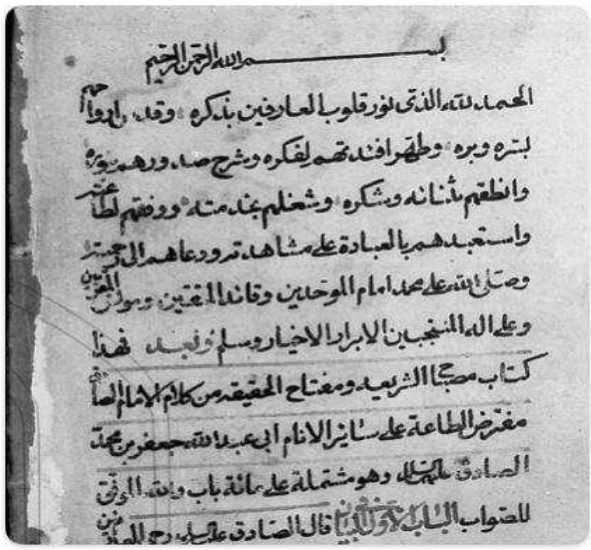

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نور قلوب العارفين بذكره وقد[س] ارواحهم بسره وبره وطهر افئدتهم لفكره وشرح صدورهم بحمده والطعم بثنائه وشكره وشغلهم بعبادته ووفقهم لطاعته واستعبدهم بالعبادة على مشاهد تردد عاهم الى حضرته وصلى الله على محمد امام الموحدين وقائد المتقين ومولى المقربين وعلى اله المنجبين الابرار الاخيار وسلم وبعد فهذا كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة من كلام الامام الصادق مفترض الطاعة على سائر الانام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وهو مشتملة على مائة باب والله الموفق للصواب الباب الاول في البيان قال الصادق عليه السلام رحم الله من

واجهة المخطوطة "م"

واجهة المخطوطة "ك"

واجهة المخطوطة "د"

مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي نَور قلوب العارفين بِـذكره، وقـدّس أرواحهـم بِـستره وبره، وطهّر أفئِدتهم لفكره، وشرح صُدورهم بنوره، وأنطقهم بثنائه وشكره، وشغلهم بخدمتهِ، ووفقهـم لطاعتـه، واسـتعبدهم بالعبـادة عـلى مـشاهدته، ودعاهم إلى رحمته، وصلى اللهُ على محمدٍ إمام المتقين، وقائد الموحدين، ومؤنس المقربين، وعلى آله المنتجبين، الأخيار الأبرار الطاهرين، وسلم تسليماً.

كتابُ مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، من كـلام الـصادق جعفـر بـن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم[1].

(١) في سوى (ط) (أما بعد، فهذا كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، من كلام الإمام الصادق، وفياض الحقائق، المفترض الطاعة على سائر الأنام، أبي عبـد الله جعفـر بـن محمد الصادق عليهما السلام، وهو مشتمل على مائـة بـاب، والله الموفـق للـصواب). والفقرة س (ع). وفي (ف) (أما بعد فهذا كتاب مصباح الشريعة، ومفتاح الحقيقة، من تصانيف أكمل المتقدمين، وأفضل المتأخرين، الشقيق البلخي، غفر الله له، وهو مبوب على مائة باب).

الباب الأول: في البيان

قال الصادق عليه السلام[1]: نجوى العارفين، تدورُ على ثلاثة أصول: الخوفُ والرجاءُ والحبُ، فالخوف فرع العِلم، والرجاء فرع اليقين، والحب فرع المعرفة، فدلِيل الخوف الهرب، ودليل الرجاء الطلب، ودليل الحب إيثار المحبوب على ما سواه.

فإذا تحقق العلم في الصدر خاف، وإذا صح الخوف هرب، وإذا هرب نجا، وإذا أشرق نور اليقين في القلب، شاهد الفضل، وإذا تمكن من رؤية الفضل رجا، وإذا وجد حلاوة الرجاء طلب، وإذا وفق للطلب وجد، وإذا تجلى ضياء المعرفة في الفؤاد، هاج ريح المحبة، واستأنس في ظلال المحبة، وآثر المحبوب على ما سواه، وباشر أوامره، واجتنب نواهيه، واختارهما على كل شيء غيرهما.

فإذا استقام على بساط الأنس بالمحبوب، مع أداء أوامره واجتناب نواهيه، وصل إلى روح المناجاة والقرب، ومثال هذه الأصول الثلاثة، كالحرم

(١) في كل الأبواب المائة، تخلو (ف) من هذه الفقرة.
وصدر هذا الباب نجده في كلمات سهل بن عبد الله التستري (٢٨٣هـ)، مع تغيير بسيط، الأمر الذي يشكل قرينة على وجود نصوص المصباح في القرن الثالث الهجري، ينظر: ابو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط١، مصر، ١٩٧٤، ج١٠، ص١.

والمسجد والكعبة، فمن دخل الحرم أمِن من الخلق، ومن دخل المسجد أمِنت جوارحه أن يستعملها في المعصية، ومن دخل الكعبة أمِن قلبه من أن يشغله بغير ذكر الله عز وجل.

فأنظر أيها المؤمن، فإن كانت حالتك حالة ترضاها لحلول الموت، فاشكر الله تعالى على توفيقه وعصمته، وإن تكن الأخرى فانتقل عنها، بصحة العزيمة، واندم على ما سلف من عمرك في الغفلة، واستعن بالله على تطهير الظاهر من الذنوب، وتصفية الباطن من العيوب، واقطع رباط الغفلة عن قلبك، واطفئ نار الشهوة من نفسك.

الباب الثاني: في الأحكام

قال الصادق عليه السلام: إعراب القلوب على أربعة أنواع، رفع وفتح وخفض ووقف، فرفع القلب في ذكر الله تعالى، وفتح القلب في الرضى عنه، وخفض القلب في الاشتغال بغير الله تعالى، ووقف القلب في الغفلة عن الله سبحانه.

ألا ترى ان العبد إذا ذكر الله تعالى بالتعظيم خالصاً، أرتفع كل حجاب كان بينه وبين الله تعالى من قبل ذلك، فإذا انقاد القلب لمورد قضاء الله تعالى، بشرط الرضى عنه؛ كيف لا ينفتح القلب بالسرور بالروح والراحة.

وإذا اشتغل قلبه بشيء من أسباب الدنيا، كيف يجده إذا ذكر الله بعد ذلك وأناب، منخفضاً، مظلماً، كبيت خراب خاوٍ ليس فيه عمران، ولا مؤنس، فإذا غفل عن ذكر الله تعالى، كيف تراه بعد ذلك موقوفاً محجوباً، قد قسى قلبه واظلم، منذ فارق نور التعظيم.

فعلامة الرفع ثلاثة أشياء: وجود الموافقة، وفقد المخالفة، ودوام الشوق. وعلامة الفتح ثلاثة أشياء: التوكل، والصدق، واليقين. وعلامة

الخفض ثلاثة أشياء: العجب، والرياء، والحرص[١]. وعلامة الوقف ثلاثة أشياء: زوال حلاوة الطاعة، وعدم مرارة المعصية، والتباس علم الحال[٢].

الباب الثالث: في الرعاية

قال الصادق عليه السلام: من رعى قلبه عن الغفلة، ونفسه عن الشهوة، وعقله عن الجهل، فقد دخل في مقام المتنبهين، ثم من رعى علمه عن الهوى، ودينه عن البدعة، وماله عن الحرام، فهو في جملة الصالحين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله[٣]: طلب العلم فريضة على كل مسلم.

وهو علم الأنفس، فيجب ان تكون نفس المؤمن على كل حال في شكر أو عذر، على معنى إن قُبل ففضل، وإن رُد فعدل[٤]، وتطالع الحركات في الطاعات بالتوفيق، وتطالع السكون عن المعاصي بالعصمة.

وقوام ذلك كله بالافتقار إلى الله تعالى، والاضطرار اليه، والخشوع والخضوع، ومفتاحهما الإنابة إلى الله تعالى مع قصر الأمل بدوام ذكر الموت،

---

(١) الفقرة س (ف).

(٢) في سوى (ط) علم الحلال والحرام.

(٣) كلمة (وآله) غير موجودة في (ط) و(ف) في معظم مواردها.

(٤) قال الله تعالى ﴿**وما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾ النساء: ٧٩. وعن الإمام الحسين سلام الله عليه في دعاء عرفة (إلهي إن ظهرت المحاسن مني، فبفضلك ولك المنة علي، وإن ظهرت المساوئ مني فبعدلك ولك الحجة علي) ابن طاووس، إقبال الاعمال، ص٦٦١. يقارن بما ذهب إليه بعض مشايخ المتصوفة بقولهم (فما أعطاه الخير سواه ولا أعطاه ضد الخير غيره، بل هو منعم ذاته ومعذبها، فلا يذمن إلا نفسه، ولا يحمدن إلا نفسه)! ابن عربي، فصوص الحكم، تحقيق: ابو العلا عفيفي، ط١، القاهرة، ١٩٤٦، ج١، ص٩٦.

وعيان الوقوف بين يدي الجبار، لأن في ذلك راحة من الحبس، ونجاة من العدو، وسلامة للنفس، وسبب الاخلاص في الطاعات، التوفيق، وأصل ذلك أن يرد العمر إلى يوم واحد، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة.

وباب ذلك كله ملازمة الخلوة، بمداومة الفكرة، وسبب الخلوة القناعة، وترك الفضول من المعاش، وسبب الفكرة، الفراغ، وعماد الفراغ الزهد، وتمام الزهد التقوى، وباب التقوى الخشية، ودليل الخشية التعظيم لله، والتمسك بتخليص طاعته في أوامره، والخوف والحذر، مع الوقوف عن محارمه، ودليلهما العلم، قال الله تعالى ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[1].

الباب الرابع: في النية

قال الصادق عليه السلام: صاحبُ النية الصادقة، صاحبُ القلب السليم. لأن سلامة القلب من هواجس المحذورات، تخليص النية لله في الأمور كلها، قال الله تعالى ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[2].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: نية المؤمن خيرٌ من عمله[3]. وقال النبي

---

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) الشعراء: ٨٨ – ٨٩.

(٣) سُئل الإمام الصادق سلام الله عليه، عن معنى هذا الحديث فقال (لأن العمل ربما كان رياءاً للمخلوقين، والنية خالصة لرب العالمين، فيُعطي تعالى على النية ما لا يُعطي على العمل). ثم بين الإمام سلام الله عليه معنى آخر، فقال (إن العبد لينوي من نهاره أن يصلي الليل، فتغلبه عينه فينام، فيثبت الله صلاته ويكتب نَفَسَه تسبيحاً، ويجعل نومه عليه صدقة). الصدوق، علل الشرائع، ط١، قم، ١٤٢٥، ج٢، ص٦٩٢. وقال

صلى الله عليه وآله: إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرىءٍ ما نوى.

ولا بد للعبد من خالص النية في كل حركة وسكون، لأنه إذا لم يكن بهذا المعنى، يكون غافلاً، والغافلون قد وصفهم الله تبارك تعالى فقال ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[١]، وقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٢].

ثم النية تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة، وتختلف على حسب اختلاف الإيمان[٣] في معنى قوته وضعفه، وصاحب النية الخالصة، نفسه وهواه، مقهوران تحت سلطان تعظيم الله تعالى، والحياء منه تعالى، وهو مَن طبعهُ وشهوتهُ ومُنيتهُ منه في تعب، والناس منه في راحة[٤].

سلام الله عليه (إنما خُلِد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خُلِّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنما خُلِد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خُلِد هؤلاء وهؤلاء) أصول الكافي، ج٢، ص٨٥.

(١) الفرقان: ٤٤.

(٢) الاعراف: ١٧٩.

(٣) الأوقات (ط، ع).

(٤) في حديث أمير المؤمنين علي سلام الله عليه (يا همام، المؤمن يعاف اللهو، ويألف الجد، إن صمت لم يغمه صمته، وإن نطق لم يَعِّل لفظه، وإن ضحك لم يَعلُ صوته، لا يجمح به الغيظ، ولا يغلبه الهوى، ولا يقهره الشح، ولا تملكه الشهوة، ولا يطمع فيما ليس له، يخالط الناس بعلم، ويفارقهم بسلم، يتكلم ليغنم، ويصمت ليعلم، ويسأل ليفهم، ويتجر ليغنم، لا ينصت للخير ليفخر به، ولا يتكلم ليتجبر به على من سواه، وإن بُغي عليه صبر، حتى يكون الله تعالى هو المنتصر الذي ينتقم له، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة). تمام نهج البلاغة، تحقيق: صادق الموسوي، ط١، بيروت، ١٤٢٠، ص٢٠٢.

الباب الخامس: في الذكر

قال الصادق عليه السلام: من كان ذاكراً لله تعالى على الحقيقة فهو مطيع، ومن كان غافلاً عنه فهو عاص، والطاعة علامة الهداية، والمعصية علامة الضلالة، وأصلهما من الذكر والغفلة.

فأجعل قلبك قبلة للسانك، لا تحركه إلا بإشارة القلب، وموافقة العقل، ورضى الإيمان، فإن الله تعالى عالم بسرك وجهرك، وكن كالنازع روحه، أو كالواقف في العرض الأكبر، غير شاغل نفسك عما عناك به ربك في أمره ونهيه، ووعده ووعيده.

واغسل قلبك بماء الحزن، واجعل ذكر الله تعالى من أجل ذكره لك، فإنه تعالى ذَكرك وهو غني عنك، فذكرهُ لك، أجل وأتم من ذكرك له، وأسبق، ومعرفتك بذكره لك تورثك الخضوع والانكسار والحياء، ويتولد من ذلك رؤية كرامته وفضله السابق، وتصغر عند ذلك طاعتك وإن كثرت، في جنب مننه؛ فتخلص لوجهه.

ورؤيتك ذكرك له، يورثك الرياء والعجب والسفه والغلظة في خلقه، واستكثار الطاعة، ونسيان فضله وكرمه، ولا تزداد بذلك من الله إلا بعداً، ولا تستجلب به على مُضي الأيام إلا وحشة.

والذكر ذكران، ذكر خالص بموافقة القلب، وذكر صافٍ ينفي ذكر غيره، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم أنا لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

فرسول الله صلى الله عليه وآله، لم يجعل لذكر الله تعالى مقداراً، عند علمه بحقيقة سابقة ذكر الله عز وجل له، فمن دونه أولى، لأنه ما لم يذكر الله العبد بالتوفيق لذكره، لا يقدر العبد على ذكره.

الباب السادس: في الشكر

قال الصادق عليه السلام: في كل نفس من أنفاسكم شكر لازم لكم، بل ألف وأكثر، وأدنى الشكر رؤية النعمة من الله تعالى من غير علة يتعلق القلب بها دون الله عز وجل، والرضى بما أعطى، وألا تعصيه بنعمته، وتخالفه بشيء من أمره ونهيه بسبب نعمته[١].

وكن لله عبداً شاكراً على كل حال، تجد الله رباً كريماً على كل حال، ولو كان عند الله تعالى عبادة يتعبد بها عباده الصالحون أفضل من الشكر على كل حال، لأطلق لفظه فيهم من جميع الخلق بها، فلما لم يكن أفضل منها، خصها من بين العبادات، وخص أربابها فقال ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٢].

وتمام الشكر، الاعتراف بلسان السر خالصاً لله تعالى، بالعجز عن بلوغ أدنى شكره، لأن التوفيق للشكر نعمة حادثة، يجب الشكر عليها، وهي أعظم قدراً، وأعز وجوداً، من النعمة التي من أجلها وفقت له[٣].

---

(١) قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، لرجل (إن كنت لا تطيع خالقك فلا تأكل من رزقه، وإن كنت واليت عدوه فاخرج من ملكه، وإن كنت غير قانع بقضائه فاطلب رباً سواه) الصدوق، التوحيد، ص٣٧٢.

وجاء في إستغفار أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه بعد ركعتي الفجر (اللهم إني استغفرك لكل ذنب قوي بدني عليه بعافيتك، أو نالته قدرتي بفضل نعمتك، أو بسطت إليه يدي بتوسعة رزقك ..الخ) الكفعمي، البلد الأمين، ص٦٨.

(٢) سبأ: ١٣.

(٣) عن الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام يا موسى أشكرني حق شكري، فقال يا رب وكيف أشكرك حق شكرك وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به علي، قال يا موسى الآن شكرتني حين علمت أن ذلك مني. الكليني، أصول الكافي، ج٢، ص٩٨.

فيلزمك على كل شُكرٍ، شُكر أعظم منه، إلى ما لانهاية لـه، مـستغرقاً في بحار نعمته، قاصراً عاجزاً، عن درك غاية شكره، فـأنى يلحـق العبـد شـكر نعمة الله، ومتى يلحق صنعه بصنيعه، والعبد ضعيف لا قوة لـه أبـداً إلا بـالله القوي تعالى شأنه، والله غني عن طاعة العبد، قوي على مزيد النعم على الأبد، فكن لله عبداً شاكراً على هذا الأصل، ترى العجب.

الباب السابع: اللباس

قال الصادق عليه السلام: أزين اللباس للمؤمن لباس التقوى، وأنعمه الإيمان، قال الله تبارك وتعالى ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[1].

وأما اللباس الظاهرة، فنعمة من الله تعـالى تُـستر بهـا العـورات، وهـي كرامة أكرم الله تعالى بها ذرية آدم عليه السلام، ما لم يكرم بهـا غـيرهم، وهـي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض الله عليهم.

وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله عـز وجـل، بـل يقربـك إلى شـكره وذكـره وطاعتـه، ولا يحملـك عـلى العجـب والريـاء، والتـزين والمفـاخرة والخيلاء، فإنها من آفات الدين، ومورثة القسوة في القلب.

فإذا لبست ثوبك، فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته، وألبِس باطنـك بالصدق، كما ألبسَت ظاهرك بثوبك، وليكن باطنك في ستر الهيبـة، وظـاهرك في ستر الطاعة، واعتبر بفضل الله عز وجل، حيث خلق أسباب اللباس لتستر العورات الظاهرة، وفتح أبواب التوبة والإنابة، لتستر بها عورات الباطن مـن الذنوب وأخلاق السوء.

---

(١) الأعراف: ٢٦.

ولا تفضح أحداً، حيث ستر الله عليك أعظم منه، واشتغل بعيب نفسك، واصفح عما لا يعنيك حاله وأمره، وأحذر أن يفنى عمرك بعمل غيرك، ويتجِر برأس مالك غيرك، وتهلك نفسك، فإن نسيان الذنب، من أعظم عقوبة الله في العاجل، وأوفر أسباب العقوبة في الآجل.

وما دام العبد مشتغلاً بطاعة الله، ومعرفة عيوب نفسه، وترك ما يشين في دين الله عز وجل، فهو بمعزل عن الآفات، غائص في بحر رحمة الله عز وجل، يفوز بجواهر الفوائد، من الحكمة والبيان، وما دام ناسياً لذنوبه، جاهلاً لعيوبه، راجعاً إلى حوله وقوته، لا يفلح[1] إذاً أبدا.

الباب الثامن[2]: السواك

قال الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب.

وجعلها من السنن المؤكدة، وفيها منافع للظاهر والباطن، ما لا يحصى

---

(١) لا يفتح له (ف).

(٢) جاء في منهاج العارفين، والذي يُرجح أنه مختصرٌ غيرُ تامٍ لمصباح الشريعة؛ بابٌ غير موجود في جميع مخطوطات المصباح، وهو:

الباب الثامن: باب القيام

فإذا قمت من فراشك فأقم قلبك عن فراش البطالة، وأيقظ نفسك عن نوم الجهالة، وانهض بكلك إلى من أحياك، ورد إليك نفسك، وقم بفكرك عن حركتك وسكونك، واصعد بقلبك إلى الملكوت الأعلى، ولا تجعل قلبك تابعا لنفسك فإن النفس تميل إلى الأرض، والقلب يميل إلى السماء، واستعمل قول اللهّ عزّ وجلّ (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ والْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) (فاطر: ١٠).

لمن عقل، فكما تزيل ما يكون في أسنانك من مطعمك ومأكلك، بالسواك، فأزل نجاسة ذنوبك، بماء التضرع والخشوع والتهجد، والاستغفار بالأسحار، وطهر باطنك من كدُرات المخالفات، وركوب المناهي كلها، خالصاً لله.

فإن النبي صلى الله عليه وآله، أراد باستعمالها مثلاً لأهل اليقظة، وهو أن السواك، نبات لطيف، نظيف، وغصن شجر عذب مبارك، والأسنان خلق خلقه الله تعالى في الفم، آلة للأكل، وأداة للمضغ، وسبب لاشتهاء الطعام، وإصلاح المعدة.

وهي جوهرة صافية، تتلوث بصحبة مضغ الطعام، وتتغير بها رائحة الفم، ويتولد من ذلك الفساد في الدماغ، فإذا استاك المؤمن الفطن، بالنبات اللطيف، ومسح الجوهرة الصافية، أزال عنها الفساد والتغير، وعادت إلى أصلها.

كذلك خلق الله تعالى القلب، طاهراً، صافياً، وجعل غذاءه الذكر، والفكر، والهيبة، والتعظيم، وإذا شيب القلب الصافي، في تغذيته بالغفلة والكدر، صُقل بمصقلة التوبة، ونُظف بماء الإنابة، ليعود إلى حالته الأولى، وجوهريته الأصلية الصافية. قال الله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[1].

ومن أناخ فكره على باب العبرة، في استخراج مثل هذه الأمثال، في الأصل والفرع، فتح الله له عيون الحكمة، والمزيد من فضله، والله لا يضيع أجر المحسنين.

---

(١) البقرة: ٢٢٢.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: عليكم بالسواك. فإن النبي صلى الله عليه وآله أمر باستواك ظاهر الأسنان، وأراد هذا المعنى والمثل (ج،د).

الباب التاسع: في المستراح

قال الصادق عليه السلام: سُمي المستراح مستراحاً، لاستراحة الأنفس من أثقال النجاسات، واستفراغ الكثيفات والأقذار فيها، والمؤمن يعتبر عندها ان الحاصل من حطام الدنيا، كذلك عاقبته، فيستريح بالعزل لنفسه عنها وبتركها، ويفرغ القلب عن شغلها، ويستنكف من جمعها وأخذها، استنكافه من النجاسة والغائط والقذر، ويتفكر في نفسه الكريمة في حالٍ، كيف تصير ذليلة في حال.

وليعلم ان التمسك بالقناعة، والتقوى، يورث راحة الدارين جميعاً، وإن الزاد لآخرته هو هوان الدنيا، والفرار من التمتع بها، وفي إزالة النجاسة، من الحرام والشبهة؛ يغلق عن نفسه باب الكِبر، بعد معرفته إياها، فيزيل عن نفسه نجاسة الحرام والشبهة[1]، ويفر من الذنوب، ويفتح باب التواضع، والندم، والحياء، ويجتهد في أداء أوامره، واجتناب نواهيه، طالباً لحسن المآب، وزلفة يوم المعاد.

ويسجن نفسه، في سجن الخوف والصبر، والكف عن الشهوات، إلى أن يتصل بأمان الله في دار القرار، ويذوق طعم رضى ربه، فإنه المُعول على ذلك وما عداه لا شيء[2].

الباب العاشر: الطهارة

قال الصادق عليه السلام: إذا أردت الطهارة والوضوء، فتقدم إلى الماء، تقدمك إلى رحمة الله، فإن الله تعالى قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته، ودليلاً

(١) الجملة س في سوى (ط).
(٢) الجملة س (ط)

إلى بساط خدمته، فكما أن رحمته تطهر ذنوب العباد، كذلك النجاسات الظاهرة، يطهرها الماء[1]، قال الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾[2]، وقال الله عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3].

وكما أحيى بالماء كل شيء من نعيم الدنيا، كذلك برحمته وفضله، حياة القلوب، وتفكر في صفاء الماء، ورِقته، وطُهوره وبركته، ولطيف امتزاجه بكل شيء، واستعمله في تطهير الأعضاء، التي أمر الله بتطهيرها، وتعبدك بأدائها، في فرائضه وسننه، فإن تحت كل واحدة منها فوائد كثيرة، إذا استعملتها بالحرمة، انفجرت لك عين فوائده عن قريب.

ثم عاشر خلق الله تعالى، كممازجة الماء الأشياء، يؤدي إلى كل ذي حقٍ حقه، ولا يتغير عن معناه، معتبراً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: مثل المؤمن كمثل الماء.

ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعاتك، كصفوة الماء، حين أنزله من السماء، وسماه طهورا، وطهِر قلبك بالتقوى واليقين، عند طهارة جوارحك بالماء.

الباب الحادي عشر: في الخروج من المنزل

قال الصادق عليه السلام: إذا خرجت من منزلك، فاخرج خروج من لا يعود، ولا يكن خروجك إلا في طاعة الله، أو في سبب من أسباب الدين،

---

(١) في سوى (ط): يطهرها الماء لا غيره!

(٢) الفرقان: ٤٨.

(٣) الانبياء: ٣٠.

أو لقضاء حوائج المؤمنين وكل ذلك رضىً لرب العالمين[١]، والزم السكينة والوقار، واذكر الله سراً وجهراً.

سأل بعض اصحاب أبي ذر عنه أهل داره، فقالوا: خرج، فقال: متى يعود، فقالوا: كيف يعلم انه يرجع من روحه بيد غيره، ولا يملك لنفسه شيئاً.

واعتبر بخلق الله، برهم وفاجرهم[٢] اين ما مضيت، واسأل الله ان يجعلك من خاص عباده، وأن يجعلك من الصالحين، ويلحقك بالماضين منهم، ويحشرك في زمرتهم، واحمده واشكره على ما عصمك عن الشهوات، وجنبك من قبح افعال المجرمين.

وغض بصرك عن الشهوات، ومواضع النهي، واقصد في مشيك،

---

(١) الجملة س في سوى (ط).

(٢) قال الإمام علي بن موسى الرضا سلام الله عليهما (لا يتم عقل امرئ مسلم حتى تكون فيه عشر خصال، الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره، ويستقل كثير الخير من نفسه، لا يسأم من طلب الحوائج إليه، ولا يملّ من طلب العلم طول دهره، الفقر في الله أحبّ إليه من الغنى، والذل في الله أحبّ إليه من العز في عدوه، والخمول أشهى إليه من الشهرة، ثم قال عليه السلام، العاشرة وما العاشرة، قيل له، وما هي، قال عليه السلام، لا يرى أحدا إلا قال: هو خير مني وأتقى، إنما الناس رجلان، رجل خير منه وأتقى، ورجل شر منه وأدنى، فإذا لقي الذي شر منه وأدنى، قال لعل خير هذا باطن وهو خير له، وخيري ظاهر وهو شر لي، وإذا رأى الذي هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به، فإذا فعل ذلك فقد علا مجده، وطاب خيره، وحسن ذكره، وساد أهل زمانه). الشيخ ابو محمد بن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط٨، قم، ١٤٢٩، ص٤٤٣.

وراقب الله في كل خطوة، كأنك على الصراط جائز، ولا تكن لفاتاً، وأفش السلام بأهله مبدئاً ومجيباً، وأعِن من استعان بك في حقٍ، وأرشد الضال، وأعرض عن الجاهلين، وإذا رجعت ودخلت منزلك، فادخل دخول الميت في القبر، حيث ليس له همة إلا رحمة الله تعالى وعفوه.

الباب الثاني عشر: دخول المسجد

قال الصادق عليه السلام: إذا أردت الصلاة وبلغت باب المسجد، فأعلم انك قد قصدت باب ملك عظيم، لا يطأ بساطه إلا المطهرون، ولا يؤذن لمجاورة مجلسه إلا للصديقين، وهِب القدوم إلى بساط خدمة الملك، هيبة للملك، فإنك على خطر عظيم إن غفلت.

واعلم إنه قادر على ما يشاء، من العدل والفضل، معك وبك، فإن عطف عليك، بفضله ورحمته، قبِل منك يسير الطاعة، وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً، وإن طالبك بحقيقة الصدق والإخلاص، عدلاً، حجبك، ورد طاعتك وإن كثرت، وهو فعال لما يريد.

واعترف بعجزك وتقصيرك، وإساءتك وفقرك، بين يديه، فإنك قد توجهت للعبادة له والمؤانسة به، وعرض اسرارك عليه، واعلم انه لا يخفى عليه أسرار الخلائق أجمعين، وعلانيتهم، وكن كأفقر عباده بين يديه، وأخلِ قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربك، فإنه لا يقبل إلا الأطهر والأخلص.

وانظر من أي ديوان يخرج اسمك، فإن ذقت حلاوة مناجاته، ولذيذ مخاطباته، وشربت بكأس رحمته وكرامته، من حسن إقباله عليك وإجابته، فقد صلحت لخدمته، فادخل فلك الإذن والأمان، وإلا فقف وقوف من انقطعت عنه الحيل، وقصر عنه الأمل، وقضى الأجل.

فإذا علم الله تعالى من قلبك صدق الالتجاء اليه، نظر إليك بعين الرحمة والرأفة والعطف، ووفقك لما يحب ويرضى، فإنه كريم يحب الكرامة لعباده المضطرين اليه، النازلين[1] ببابه، لطلب مرضاته، قال الله عز وجل ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾[2].

الباب الثالث عشر: في افتتاح الصلاة

قال الصادق عليه السلام: إذا استقبلت القبلة، فانس الدنيا وما فيها، والخلق وما هم فيه، وفرغ قلبك عن كل شاغل يشغلك عن ربك، وعاين بسرك عظمة الله تعالى، واذكر وقوفك بين يديه يوم ﴿**تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ**﴾[3].

وقِف على قدم الخوف والرجاء، فإذا كبرت فاستصغر ما بين السماوات العلى والثرى، دون كبريائه، فإن الله إذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر، وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره، قال يا كاذب، أتخدعني، وعزتي وجلالي، لأحرمنك حلاوة ذكري، ولأحجبنك عن قربي، والمسرة بمناجاتي.

واعلم انه غير محتاج إلى خدمتك، وهو غني عنك وعن عبادتك وطاعتك، وإنما أمرك بطاعته ليقربك إلى رحمته، ويبعدك عن عقوبته، وينشر عليك من بركات حنانيه، ويهديك إلى بساط مرضاته، ويفتح عليك باب مغفرته.

فلو خلق الله عز وجل على ضعف ما خلق، من العوالم أضعافاً

---

(١) في سوى (ط): المحترقين.

(٢) النمل: ٦٢.

(٣) يونس: ٣٠.

مضاعفة، ثم كفروا به ما ضره كفرهم، أو وحدوه وأطاعوه، ما تنفعه طاعتهم، وإنما خلق الخلق لإظهار حكمته وقدرته، فإذا استقبلت القبلة فاجعل الحياء رداءً، والعجز إزاراً، وادخل تحت ستر سلطانه، تغنم فوائد ربوبيته، مستعيناً به، ومستغيثاً اليه.

الباب الرابع عشر: في قراءة القرآن

قال الصادق عليه السلام: من قرأ القرآن ولم يخضع لله، ولم يرق قلبه، ولم يكتسِ حزناً ووجلاً في سره، فقد استهان بعظمة شأن الله تعالى، وخسر خسراناً مبيناً.

فقارئ القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء، قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خالٍ، فإذا خشع لله قلبه، فرَ منه الشيطان، قال الله تعالى ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[1]، وإذا فرغ نفسه من الأسباب، تجرد قلبه للقراءة، فلا يعترضه عارض، فيحرمه بركة نور القرآن وفوائده، وإذا اتخذ مجلساً خالياً، واعتزل من الخلق، بعد أن يأتي بالخصلتين الأُولتين، استأنس روحه وسره بالله عز وجل، وفهم ما أمره به ونهاه عنه في كتابه، ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين، وعلم لطفه بهم، ومقام اختصاصه لهم، بفنون كراماته، وبدائع اشاراته.

فإذا شرب كأساً من هذا المشرب، حينئذٍ لا يختار على ذلك الحال حالاً، ولا على ذلك الوقت وقتاً، بل يؤثره على كل طاعة وعبادة، لأن فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة، فانظر كيف تقرأ كتاب ربك، وكيف تجتنب نواهيه، وتمتثل أوامره، فـ ﴿**إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ**

(١) النحل: ٩٨.

﴿مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[١]، فرتله ترتيلاً، وقف عن وعده ووعيده، وتفكر في أمثاله ومواعظه، وأحذر أن تقع بإقامتك حروفه، في إضاعة حدوده.

الباب الخامس عشر: الركوع

قال الصادق عليه السلام: لا يركع عبدٌ لله تعالى ركوعاً على الحقيقة، إلا زينه الله تعالى بنور بهائه، وأظله في ظل كبريائه، وكساه كسوة أصفيائه.

والركوع أول، والسجود ثانٍ، فمن أتى بمعنى الأول، صلح للثاني، وفي الركوع أدب، وفي السجود قُرب، ومن لا يحسن الأدب، لا يصلح للقرب.

فاركع ركوع خاشع لله عز وجل بقلبه، متذللاً وجلاً، تحت سلطانه، خافضاً له بجوارحه، خفض خائفٍ حزين على ما يفوته من فوائد الراكعين، يحكى أن ربيع بن خثيم كان يسهر الليل إلى الفجر في ركوع واحد، فإذا هو أصبح، تأوه وقال سبق المخلصون، وقطع بنا.

واستوفِ ركوعك، باستواء ظهرك، وانحط عن همتك في قيامك لخدمته، إلا بعونه، وفِر من وساوس الشيطان وخدائعه ومكائده، فإن الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له، ويهديهم إلى أصول التواضع والخضوع والخشوع، بقدر اطلاع عظمته على سرائرهم.

الباب السادس عشر: في السجود

قال الصادق عليه السلام: ما خَسِرَ والله قط، من أتى بحقيقة السجود، ولو في العمر مرة، وما أفلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال ولم يفز بالمراد إلا[٢] مخادع

---

(١) فصلت: ٤١-٤٢.

(٢) شبيهاً (ط، ف).

نفسه، غافل لاهٍ عما أعد الله للساجدين في العاجل والآجل.

ولا بعُد أبداً عن الله من أحسن تقربه في السجود، ولا قرُب اليه أبداً من أساء أدبه، وضيع حرمته، بتعلق قلبه بسواه في حال سجوده، فاسجد سجود متواضع ذليل علم انه خُلق من تراب يطأه الخلق، وانه رُكب من نطفة يستقذرها كل أحد، وكُون ولم يكن.

وقد جعل الله معنى السجود، سبباً للتقرب اليه بالقلب والسر والروح، فمن قرُب منه، بعُد عن غيره، ألا ترى في الظاهر انه لا يستوي حال السجود، إلا بالتواري عن جميع الأشياء، والاحتجاب عن كل ما تراه العيون، كذلك أراد الله تعالى أمر الباطن، فمن كان قلبه متعلقاً في صلاته بشيء دون الله، فهو قريب من ذلك الشيء، بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته، قال الله تعالى ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عز وجل: لا أطلع على قلب عبدٍ، فاعلم منه حب الاخلاص لطاعتي ولوجهي، وابتغاء مرضاتي، إلا توليت تقويمه وسياسته، ومن اشتغل بغيري في صلاته، فهو من المستهزئين بنفسه، مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين.

الباب السابع عشر: في التشهد

قال الصادق عليه السلام: التشهد ثناء على الله تعالى، فكن عبداً له في السر خاضعاً له بالفعل، كما انك عبداً له بالقول والدعوى، وصِل صدق لسانك بصدق سرك، فإنه خلقك عبداً له، وأمرك أن تعبده بقلبك، ولسانك، وجوارحك.

---

(١) الأحزاب: ٤.

وإن تحقق عبوديتك له، بربوبيته لك، وتعلم أن نواصي الخلق بيده، فليس لهم نَفَس ولا لحظة، إلا بقدرته ومشيئته، وهم عاجزون عن اتيان أقل شيء في مملكته، إلا بإذنه وارادته، قال الله عز وجل ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[1].

فكن لله عبداً ذاكراً بالقول والدعوى، وصِل صدق لسانك بصفاء سرك، فإنه خلقك عبداً وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك، فعز وجل ان يكون له شريك في إرادته ومشيئته[2]، فاستعمل العبودية في الرضى بحكمته وبالعبادة في أداء أوامره.

وقد أمرك بالصلاة على حبيبه النبي محمد صلى الله عليه وآله، فأوصَل صلاتَه بصلاتِه، وطاعتَه بطاعتِه، وشهادتَه بشاهدتِه، وانظر إلى ألا يفوتك بركات معرفة حرمته، فتُحرم عن فائدة صلاته، وأمره بالاستغفار لك، والشفاعة فيك، إن أتيت بالواجب، في الأمر والنهي، والسنن والآداب، وتعلم جليل مرتبته عند الله عز وجل.

الباب الثامن عشر: في السلام

قال الصادق عليه السلام: معنى السلام في دبر كل صلاة معنى الأمان، أي من أدى أمر الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، خاضعاً له خاشعاً منه؛ فله الأمان من بلاء الدنيا، وبراءة من عذاب الآخرة.

---

(١) القصص: ٦٨.

(٢) فإنه خلقك، فعز وجل ان تكون ارادة ومشيئة لأحد، إلا بسابق ارادته ومشيئته (ع). وما تقدم من الفقرة س (ط).

والسلام إسم من أسماء الله تعالى، أودعه خلقه ليستعملوا معناه في العبادات والمعاملات والأمانات والانصافات، وتصديق مصاحبتهم في ما بينهم، وصحة معاشرتهم، وإن أردت أن تضع السلام مواضعه، وتؤدي معناه، فاتقِ الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك، ألا تدنسها بظلمة المعاصي، ولتسلم منك حفظتك، ألا تُبرمُهم وتُملُهم وتُوحشُهم منك، بسوء معاملتك معهم.

ثم صديقك وقريبك وأخوك في الدين[1]، فإن لم يسلم منك من هو أقرب اليك، فالأبعد أولى ألا يسلم، ومن لا يضع السلام مواضعه هذه، فلا سلام منه ولا سلام له، وكان كاذباً في سلامه، وإن أفشاه في الخلق.

واعلم انه ليس أحد من الخلق إلا هو بين فتنٍ ومحنٍ في الدنيا، اما مبتلىً بالنعمة ليظهر شكره، وإما مبتلىً بالشدة ليظهر صبره، والكرامة في طاعة الله، والهوان في معصيته، ولا سبيل إلى رضوان الله إلا بفضله ورحمته، ولا وسيلة إلى طاعته إلا بتوفيقه، ولا شفيع إليه إلا بإذنه ورحمته.

الباب التاسع عشر: في الدعاء

قال الصادق عليه السلام: احفظ أدب الدعاء، وانظر من تدعو، وكيف تدعو، ولماذا تدعو، وحقق عظمة الله وكبريائه، وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك، واطلاعه على سرك، وما تُكِن فيه من الحق والباطل.

واعرف طرق نجاتك وهلاكك، كيلا تدعو الله بشيء عسى فيه هلاكك، وأنت تظن أن فيه نجاتك، قال الله تعالى ﴿**وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا**﴾[2]، وتفكر ماذا تسأل ولمَ تسأل.

---

(١) في سوى (ط): ثم صديقك ثم عدوك!

(٢) الاسراء: ١١.

والدعاء استجابة الكل منك للحق، وتذويب المهجة في مشاهدة الرب، وتسليم الأمور كلها، ظاهراً وباطناً، إلى الله تعالى، واعلم إنك إن لم تأتِ بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابة، فإنه يعلم السر وأخفى، فلعلك تدعوه بشيء، قد علم من نيتك بخلاف ذلك، قال بعض الصحابة لبعضهم أنتم تنتظرون المطر بالدعاء، وأنا انتظر الحجر[١].

واعلم انه لو لم يكن أمرنا الله بالدعاء، لكنا إذا أخلصنا الدعاء تفضل علينا بالإجابة، فكيف وقد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدعاء، سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله، عن اسم الله الأعظم، قال كل اسم من أسماء الله أعظم.

وفرغ قلبك عن كل ما سواه، وادعه بأي اسم شئت[٢]، فليس في الحقيقة لله اسم دون اسم، بل هو الله الواحد القهار، وقال النبي صلى الله عليه وآله، ان الله لا يستجيب الدعاء من قلب لاهٍ[٣].

قال الصادق عليه السلام: إذا أراد أحدكم ألا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه، فلييأس من الناس كلهم، ولا يكن له رجاء إلا من عند الله عز وجل، فإذا علم الله تعالى ذلك في قلبه، لم يسأله شيئاً إلا أعطاه[٤].

---

(١) في منهاج العارفين، ص٣٢، القول لمالك بن دينار (١٢٣هـ). وجاء في العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ) (شكا الناس إلى مالك بن دينار القحط، فقال انتم تستبطئون المطر، وأنا استبطئ الحجر)، ط١، بيروت، ١٤٠٤، ج٣، ص١١٥.

(٢) في منهاج العارفين، ص٣٢، ينسبه إلى أبي يزيد البسطامي (٢٦١هـ).

(٣) في المصابيح لأبي محمد البغوي (٥١٦هـ) (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، وأعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهٍ) تحقيق: يوسف المرعشلي ط١، بيروت، ١٤٠٧، ج٢، ص١٤١.

(٤) الفقرة س في سوى (ع).

فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء، واخلصت سرك لوجهه، فابشر بإحدى ثلاثة، اما ان يُعجل لك بما سألت، وإما أن يدخر لك ما هو أعظم منه، وأما ان ينصرف عنك من البلاء، ما أن لو أرسله عليك لهلكت.

قال النبي صلى الله عليه وآله، قال الله تعالى، من شغله ذكري عن مسألتي، اعطيته أفضل ما أُعطي السائلين[1].

قال الصادق عليه السلام، دعوت الله مرة، فأطلت ذكره والتضرع إليه، ونسيت الحاجة[2]. لأن الإقبال إليه والتوجه له والذكر، أعظم وأجل مما يريد منه العبد، ولو كانت الجنة ونعيمها الأبدي، ولكن لا يعقل ذلك إلا العالمون المحبون العابدون العارفون، صفوة الله وخواصه.

الباب العشرون: في الصوم

قال الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصوم جُنة. أي ستر من آفات الدنيا، وحجاب عن عذاب الآخرة، فإذا صمت، فانوِ بصومك كف النفس عن الشهوات، وقطع الهمة عن خطرات الشيطان، وأنزل نفسك منزلة المرضى، لا تشتهي طعاماً ولا شراباً، متوقعاً في كل لحظة شفاك من مرض الذنوب.

وطهر باطنك من كل كدر وغفلة وظلمة، تقطعك عن معنى الاخلاص لوجه الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله، قال الله عز

---

(١) رواه ابن شيبة الكوفي (٢٣٥هـ)، في المصنف، تحقيق: سعد الششتري، ط١، الرياض، ١٤٣٦، ج١٦، ص١٥٠.

(٢) الحديث قرينة على أن المصباح شرحٌ لكلمات الإمام الصادق سلام الله عليه. ونُسب الحديث في منهاج العارفين، ص١١٥، إلى ابو الحسين الوراق(٣١٩هـ).

وجل: الصوم لي، وأنا أجزي به[١].

فالصوم يميت مراد النفس، وشهوات الطبع، وفيه صفاوة القلب، وطهارة الجوارح، وعمارة الظاهر والباطن، والشكر على النعم، والإحسان إلى الفقراء، وزيادة التضرع والخشوع والبكاء، وحبل[٢] الالتجاء إلى الله، وسبب انكسار الهمة في الدنيا، وتخفيف الحساب، ومضاعفة الحسنات، وفيه من الفوائد ما لا تحصى، وكفى بما ذكرناه منبه لمن عقِل ووفق لاستعماله.

الباب الحادي والعشرون: في الزكاة

قال الصادق عليه السلام: على كل جزء من اجزائك زكاة واجبة لله تعالى، بل على كل شعرة منك، بل على كل لحظة منك، فزكاة العين النظر فيما لابد لك من النظر إليه فيما أُمرت به وغض النظر عن المحرمات[٣]، وزكاة الأذن استماع العلم والحكمة والقرآن، وفوائد الدين، من الموعظة والنصيحة، وما فيه نجاتك، والإعراض عما هو ضده، من الكذب، والغيبة، واشباه ذلك.

وزكاة اللسان النصح للمسلمين، وإيقاظ الغافلين، ومداومة التسبيح والذكر لله، وأشباه ذلك، وزكاة اليد البذل والعطاء، والسخاء بما أنعم الله عليك، وتحريكها بكتابة العلوم، ومنافع المسلمين في طاعة الله تعالى، والقبض عن الشر، وزكاة الرجل السعي في حقوق الله تعالى، مما أوجب عليك من زيارة الصالحين، ومجالسة أهل الذكر، واصلاح الناس، وصلة الرحم،

(١) روى الكليني عن الإمام الصادق سلام الله عليه (قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: الصوم لي وأنا أجزي عليه) أصول الكافي، ج٤، ص٦٣.

(٢) في سوى (ط) حب.

(٣) في سوى (ط) فزكاة العين النظر بالعبرة، والغض عن الشهوات.

والجهاد، وما فيه صلاح قلبك، وسلامة دينك.

هذا ما يحتمل القلوب فهمه، والنفوس استعماله، والذي لا يشرف عليه إلا عباده المقربون، المخلصون، أكثر من أن يحصى، وهم أربابه، وهو شعارهم دون غيرهم.

الباب الثاني والعشرون: الحج

قال الصادق عليه السلام: إذا أردت الحج فجرد قلبك لله، من قبل عزمك؛ من كل شاغل وحجاب حاجب، وفوض أمورك كلها إلى خالقك، وتوكل عليه، في جميع ما يظهر من حركاتك وسكناتك، وسلم لقضائه وحكمه وقدره، وودع الدنيا، والراحة، والخلق، واخرج من الحقوق اللازمة لك[1].

ولا تعتمد على زادك، وراحلتك واصحابك وقوتك وشبابك ومالك، مخافة أن يصير ذلك عدواً ووبالاً، فإن من ادعى رضى الله، واعتمد على شيء سواه، صيره عليه عدواً ووبالاً، ليعلم انه ليس له قوة، ولا حيلة، ولا لأحدٍ؛ إلا بعصمة الله وتوفيقه.

واستعد استعداد من لا يرجو الرجوع، وأحسن الصحبة، وراع أوقات فرائض الله وسنن نبيه صلى الله عليه وآله، وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر، والشفقة والسخاء، وإيثار الزاد، على دوام الأوقات.

ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفاء، والخضوع والخشوع، وأحرِم عن كل شيء يمنعك عن ذكر الله، ويحجبك عن طاعته، ولبِ بمعنى اجابة صادقة خالصة زاكية؛ لله عز وجل، في دعوتك له،

---

(١) في سوى (ط) واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين.

مستمسكاً بعروته الوثقى، وطف بقلبك مع الملائكة، بطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت، وهرول هرباً من هواك، وتبرأ من حولك وقوتك، وأصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك على الجبل، واخرج من غفلتك وضلالتك وزلاتك، بخروجك إلى منى، ولا تتمنى ما لا يحل لك ولا تستحقه.

واعترف بالخطايا بعرفات، وجدد عهدك عند الله بوحدانيته، وتقرب إلى الله واتقه، بمزدلفة، وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة، عند رمي الجمرات، واذبح حنجرة الهوى والطمع، عند الذبيحة،، واحلق العيوب الظاهرة والباطنة، بحلق شعرك، وادخل في أمان الله وكنفه وستره، وكلاءته، من متابعة مرادك وهواك؛ بدخولك الحرم، وزر البيت، متحققاً لتعظيم صاحبه، ومعرفة جلاله وسلطانه.

واستلم الحجر، رضىً بقسمته، وخضوعاً لعزته، وودع ما سواه، بطواف الوداع، وصفِّ روحك، وسرك، للقاء الله يوم تلقاه، بوقوفك على الصفا، وكن بمرأى من الله نقياً عند المروة، واستقم على شروط حجك هذا، ووفاء عهدك الذي عاهدت به ربك، وأوجبته له إلى يوم القيامة.

واعلم بأن الله لم يفترض الحج، ولم يخصه من جميع الطاعات، بالإضافة إلى نفسه، بقوله عز وجل ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾[1]، ولا شرع نبيه صلى الله عليه وآله سنته، في خلال المناسك، على ترتيب أشاره؛ إلا للاستعداد إلى الموت والقبر والبعث والقيامة، وفضل بيان السابقة، من الدخول في الجنة اهلها، ودخول النار اهلها، بمشاهدة مناسك الحج، من أولها إلى آخرها، على هذا الترتيب لأولي الألباب، وأولي النهى.

---

(١) آل عمران: ٩٧.

الباب الثالث والعشرون: السلامة

قال الصادق عليه السلام: اطلب السلامة اين ما كنت، وفي أي حال كنت؛ لدينك ولقلبك وعواقب أمورك في الله، فليس من طلبها وجدها، فكيف من تعرض للبلاء، وسلك مسلكاً ضد السلامة، وخالف أصولها، بل رأى السلامة تلفاً، والتلف سلامة[١].

والسلامة قد عزت في الخلق في كل عصر، خاصة في هذا الزمان، واعلم ان سبل وجودها في احتمال جفاء الخلق وأذيتهم، والصبر عند الرزايا، وخفة المؤن، والفرار من أشياء يلزمك رعايتها، والقناعة بالأقل من الميسور، فإن لم يكن، فالعزلة، فإن لم تقدر فالصمت، وليس كالعزلة.

فإن لم تستطع فالكلام بما ينفعك، ولا يضرك، وليس كالصمت، فإن لم تجد السبيل اليه، فالانقلاب والسفر من بلد إلى بلد[٢]، بسرٍ صاف، وقلب خاشع، وبدن صابر، قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[٣]، والسفر مغنم عباد الله الصالحين، ولا تنافس الأشكال، ولا تنازع الأضداد، ومن قال لك أنا، فقل أنت، ولا تدعِ شيئاً وإن أحاط به علمك، وتحققت به معرفتك، ولا تكشف به سرك، إلا على

(١) قال النبي صلى الله عليه وآله (كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف، قيل يا رسول الله ويكون ذلك ؟ قال: نعم، وشر من ذلك كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً) بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٨١.

(٢) في سوى (ط) زيادة: وطرح النفس في براري التلف.

(٣) النساء: ٩٧.

الأشرف منك في الدين، فإذا فعلت ذلك فقد أصبت السلامة، وبقيت مع الله بلا علاقة[١].

الباب الرابع والعشرون: العزلة

قال الصادق عليه السلام: صاحب العزلة متحصن بحصن الله، ومتحرس بحراسته، فيا طوبى لمن تفرد به سراً وعلانية، وصاحب العزلة يحتاج إلى عشر خصال، علم الحق والباطل، واختيار الشدة على الرخاء، والفقر على الغناء[٢]، والزهد، واغتنام الخلوة، والنظر في العواقب، ورؤية

---

(١) أي الكون مع الله مجرداً عن كل علة، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه (ما عبدتُك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك) البحار، ج٦٧، ص١٨٨. وقال الإمام زين العابدين سلام الله عليه (إني أكره أن أعبدَ الله ولا غرض لي إلا ثوابه، فأكون كالعبد الطمِع المطيع، إن طمع عمل، وإلا لم يعمل، وأكره أن أعبده لا غرض لي إلا لخوف عقابه، فأكون كالعبد السوء، إن لم يخف لم يعمل، قيل له: فلم تعبده ؟ قال: لما هو أهله بأياديه عليّ وإنعامه) تفسير الإمام العسكري سلام الله عليه، ط٢، قم، ١٤٣٣ ص٣٢٨.

(٢) سياق الكلام يظهر منه تفضيل البلاء على الرخاء، وفي المقابل قال الإمام السجاد سلام الله عليه (من اتكل على حسن اختيار الله عز وجل له، لم يتمن أنه في غير الحال التي اختارها الله تعالى له) بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٤٤.

وروي أنه قيل للإمام الحسين سلام الله عليه، إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحب إلي من الصحة، فقال سلام الله عليه: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول من اتكل على حسن اختيار الله تعالى له، لم يتمن غير ما اختاره الله تعالى له. ينظر: الرسالة القشيرية، ج٢، ص٣٤٤.

التقصير في العبادة[١]، مع بذل المجهود، وترك العجب، وكثرة الذكر بلا غفلة، فإن الغفلة مصيدة الشيطان، ورأس كل بلية، وسبب كل حجاب؛ وخلوة البيت عما لا يحتاج اليه في الوقت.

قال عيسى بن مريم عليه السلام: اخزن لسانك لعمارة قلبك، وليسعك بيتك من الدنيا، وابذل فضول معاشك، والزم فضول كلامك، وابكِ على خطيئتك، وفر من الناس فرارك من الأسد والأفاعي، فإنهم كانوا يوماً دواءً فصاروا اليوم داءً، ثم اتَّقِ الله متى شئت.

قال ربيع بن خثيم: ان استطعت ان تكون في موضع لا تعرِف ولا تُعرف، فافعل[٢]، وفي العزلة صيانة الجوارح، وفراغ القلب، وسلامة العيش، وكسر سلاح الشيطان، والمجانبة من كل سوء، وراحة الوقت[٣]، وما من نبي، ولا وصي، إلا واختار العزلة في زمانه، اما في ابتدائه واما في انتهائه.

الباب الخامس والعشرون: في العبادة

قال الصادق عليه السلام: داوم على الإخلاص لله في أداء الفرائض

---

(١) عن الإمام موسى بن جعفر سلام الله عليهما (عليك بالجِد، لا تخرجن نفسك من حد التقصير في عبادة الله عز وجل، فإن الله لا يعبد حق عبادته) الكافي، ج٢، ص٧٢.

(٢) قال الإمام الصادق سلام الله عليه (إن قدرت ألا تُعرف فأفعل) الحراني، تحف العقول، ص٣٥٦.

وعن الإمام زين العابدين سلام الله عليه (يأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة أجزاء، تسعة منها في اعتزال الناس، وواحدة في الصمت) الصدوق، الخصال، تحقيق: علي غفاري، ط٢، قم، ١٤٠٣، ص٤٣٧.

(٣) في سوى (ط، ع) القلب.

والسنن[١]، فإنها الأصل، ومن أصابها وأداها بحقها، فقد أصاب الكل، وخير العبادة أقربها بالأمر، وأخلصها من الآفات، وأدومها وإن قلت، فإن سَلِم لك فرضك وسنتك، فأنت أنت[٢].

واحذر ان تطأ بساط مَلِكِك، إلا بالذلة والافتقار، والخشية والتعظيم، واخلص حركاتك من الرياء، وسرك من الغفلة[٣]، فإن النبي صلى الله عليه وآله قال: المصلي مناجٍ ربه.

فاستحي من المطلع على سرك، العالم بنجواك، وما يُخفي ضميرك، وكن بحيث رآك لما أراد منك، ودعاك اليه، وكان السلف يشتغلون من وقت الفرض إلى وقت الفرض في اصلاح الفرضين جميعاً، حتى يأتوا بالفرضين جميعاً، وإن الدولة في هذا الزمان للفضائل على الفرائض، فكيف يكون بدن بلا روح.

قال علي بن الحسين عليهما السلام: عجبت لطالب فضيلة، تارك فريضة[٤]. وليس ذلك إلا لحرمان معرفة الحق وتعظيمه، وبما أمر وحض عليه، وندب إليه.

الباب السادس والعشرون: في التفكر

قال الصادق عليه السلام: اعتبروا بما مضى من الدنيا، هل بقي على

(١) في سوى (ط) داوم على تخليص المفترضات والسنن.

(٢) فأنت عابد (ع).

(٣) الغشاوة (ف)

(٤) نُسب في منهاج العارفين، ص١١٩ إلى يحيى بن معاذ (٢٥٨هـ)، ينظر أيضاً: ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج٢، ص٢٩٧.

أحد، وهل أحد فيها باقٍ، من الشريف والوضيع، والغني والفقير، والولي والعدو، وكذلك ما لم يأتِ منها بما مضى، أشبه من الماء بالماء.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كفى بالموت واعظاً، وبالعقل دليلاً، وبالتقوى زاداً، وبالعبادة شغلاً، وبالله مؤنساً، وبالقرآن بياناً. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لم يبق من الدنيا، إلا بلاء وفتنة، وما نجا من نجا، إلا بالصدق.

وقال نوح عليه السلام: وجدت الدنيا، كبيت له بابان، دخلت من احدهما وخرجت من الآخر. هذا حال صفي الله، فكيف حال من اطمأن فيها وركن اليها، واضاع عمره في عمارتها، ومزق دينه في طلبها[1].

والفكرة مرآة الحسنات، وكفارة السيئات، وضياء القلب، وفسحة للخلق، واصابة في صلاح المعاد، واصلاح على العواقب، وزيادة في العلم، وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فكرة ساعة خير من عبادة سنة. ولا ينال منزلة التفكر إلا من قد خصه الله بنور المعرفة والتوحيد.

الباب السابع والعشرون: الصمت

قال الصادق عليه السلام: الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق، وجف به القلم، وهو مفتاح كل راحة من الدنيا والآخرة، وفيه رضى الرب، وتخفيف الحساب، والصون عن الخطايا والزلل، قد جعله الله تعالى ستراً على

(١) نقل احمد الدينوري (٣٣٣هـ) (جاء رجل إلى ابراهيم بن أدهم، فقال له .. من أين معيشتك ؟ فقال ابراهيم: نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع)، المجالسة وجواهر العلم، تحقيق: حسن سلمان، ط١، بيروت، ١٤١٩، ج٥، ص١٤٦.

الجاهل، وزيناً للعالم.

ومعه عزل الهوى، ورياضة النفس، وحلاوة العبادة، وزوال قسوة القلب والنفاق، والعفاف، والمروة والظرف. قال بعضهم: الزم الصمت كأنك غافل، وكن ذاكراً كأنك ناسٍ، والزم الصمت إلى أن يجب الكلام، فما أكثر من يندم إذا نطق، وأقل من يندم إذا سكت[١].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا خير في الصمت عن الحكم، كما لا خير في القول بالجهل[٢]. فاغلق باب لسانك عما لك منه بُداً، لا سيما إذا لم تجد أهلاً للكلام والمذاكرة لله وفي الله.

وكان ربيع بن خثيم، يضع قرطاساً بين يديه، فيكتب كل ما يتكلم به، ويحاسب نفسه عشية، ما له وما عليه، فيقول: آه نجا الصامتون وبقينا. وكان بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، يضع حصاة في فيه، فإذا أراد أن يتكلم بما علم أنه لله وفي الله ولوجه الله، أخرجها. فإن كثيراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، رضي الله عنهم، كانوا يتنفسون تنفس الصعداء، ويتكلمون شبه المرضى.

وإنما سبب هلاك الخلق ونجاتهم، الكلام والصمت، فطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وصوابه، وعلم الصمت وفوائده، فإن ذلك من شعار الأنبياء، وأخلاق الأوصياء، ومن علم قدر الكلام، أحسن صحبة الصمت، ومن أشرف على لطائف الصمت، وأتمنه على خزائنه، كان كلامه وصمته كله عبادة، ولا يطلع على عبادته هذه إلا الملك الجبار.

---

(١) الفقرة س (ط، ف).

(٢) الفقرة س (ط، ف). والحديث ذكره الحراني في تحف العقول، ص٩٤.

الباب الثامن والعشرون: الراحة

لا راحة للمؤمن على الحقيقة، إلا عند لقاء الله تعالى، وما سوى ذلك، ففي أربعة أشياء: صمت: تعرف به حال قلبك ونفسك، فيما يكون بينك وبين بارئك، وخلوة: تنجو بها من آفات زمانك، ظاهراً وباطناً، وجوع: تميت به الشهوات، والوساوس، وسهر: تنور به قلبك، ويصفو به طبعك، وتزكي به روحك.

قال النبي صلى الله عليه وآله: من أصبح آمناً في سربه، معافىً في بدنه، وعنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا. وقال وهب بن منبه: في كتب الأولين مكتوب، يا قناعة ياقناعة العز والغناء معك، فاز من فاز بك.

وقال ابو ذر رضوان الله عليه: ما قسم الله لي، لا يفوتني، ولو كان في جناح الريح.

وقال أبو ذر رضوان الله عليه: هُتك ستر من لا يثق بربه، ولو كان محبوساً في الصم الصياخيد.

وليس أحد أخسر، ممن لا يصدق ربه، فيما ضمن له وتكفل به من قبل أن يُخلق، وهو مع ذلك يعتمد على قوته، وتدبيره، وسعيه، وجهده، ويتعدى حدود ربه بأسباب قد أغناه الله عنها.

الباب التاسع والعشرون: القناعة

قال الصادق عليه السلام: لو حلف القانع بملكه الدارين، لصدقه الله عز وجل ولأبره، لعظم شأن مرتبة القناعة، ثم كيف لا يقنع العبد بما قدر الله عز وجل له، وهو يقول ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1]، ومن

(١) الزخرف: ٣٢.

أيقن بربوبيته وقنع بالمقسوم، استراح من الكروب والهموم والتعب[١]، وكل ما نقص من القناعة زاد في الطمع والحرص والرغبة، والطمع والرغبة في الدنيا، أصلان لكل شر، وصاحبهما لا ينجو من النار إلا أن يتوب عن ذلك.

قال النبي صلى الله عليه وآله: القناعة ملك لا يزول. وهي مركب رضى الله، تحمل صاحبها إلى دار الله، فأحسن التوكل فيما لم تُعطَ، والرضى بما أُعطيت، ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[٢].

الباب الثلاثون: الحرص

قال الصادق عليه السلام: لا تحرص على شيء، لو تركته وصل اليك، وكنت عند الله مستريحاً محموداً بتركه، ومذموماً باستعجالك في طلبه، وترك التوكل عليه والرضى بالقسم، فإن الدنيا خلقها الله بمنزلة ظلك، ان طلبته اتعبك ولا تلحقه أبداً، وان تركته تبعك وأنت مستريح[٣].

قال النبي صلى الله عليه وآله: الحريص محروم. وهو مع حرمانه مذموم في أي شيء كان، وكيف لا يكون محروماً وقد فر من وثاق الله، وخالف قول الله عز وجل حيث يقول ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[٤].

---

(١) في سوى (ط، ع) فمن أيقن وصدقه بما شاء ولما شاء، بلا غفلة، ممن اعتقد بربوبيته؛ أضاف تولية الاقسام إلى نفسه بلا سبب، ومن قنع بالمقسوم استراح من الهم والكرب والتعب.

(٢) لقمان: ١٧.

(٣) قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه (مثل الدنيا كظلك، إن وقفت وقف، وإن طلبته بعد) غرر الحكم، ص٧٠٨.

(٤) الروم: ٤٠.

والحريص بين سبع آفات صعبة، فكرٌ يضر بدنه ولا ينفعه، وهمٌ لا يتم له انقضاؤه، وتعبٌ لا يستريح منه إلا عند الموت، وراحته منه إلى ماهو أشد تعباً، وخوفٌ لا يورثه إلا الوقوع فيه، وحزنٌ قد كدر عليه عيشه بلا فائدة، وحسابٍ لا مخلص له معه من عذاب الله، إلا أن يعفو الله عنه، وعقاب لا مفر له منه ولا حيلة.

والمتوكل على الله، يمسي ويصبح في كنفه، وهو منه في عافية، وقد عجل[1] الله له كفايته، وهيّأ له من الدرجات في آخرته ما الله به أعلم، والحرص ما يجري في منافذ غضب الله، وما لم يحرم العبد اليقين لا يكون حريصاً، واليقين أرض الإسلام وسماء الإيمان.

الباب الحادي والثلاثون: الزهد

قال الصادق عليه السلام: الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار، وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من الدنيا، من غير تأسف على فوتها، ولا إعجاب في تركها، ولا انتظار فرج منها، ولا طلب محمدة عليها ولا عوض منها.

بل ترى فوتها راحة، وكونها آفة، وتكون أبداً هارباً من الآفة، معتصماً بالراحة، والزاهد الذي يختار الآخرة على الدنيا، والذل على العز، والجهد على الراحة، والجوع على الشبع، وعافية الآجل على محبة العاجل، والذكر على الغفلة، وتكون نفسه في الدنيا، وقلبه في الآخرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حب الدنيا، رأس كل خطيئة. ألا

---

(١) جعل (ف).

ترى كيف أحب ما أبغضه الله، وأي خطأ أشد جرماً من هذا. وقال بعض أهل البيت عليهم الصلاة والسلام: لو كانت الدنيا بأجمعها لقمة في فم طفل لرحمناه[١].

فكيف حال من نبذ حدود الله خلف ظهره، في طلبها والحرص عليها، والدنيا دارٌ لو أحسنتَ سُكناها، لما رحمتك ولما أحبتك[٢]. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما خلق الله الدنيا، أمرها بطاعته، فأطاعت ربها، فقال لها، خالفي من طلبك، ووافقي من خالفك، فهي على ما عهد اليها الله وطبعها به.

الباب الثاني والثلاثون: صفة الدنيا

قال الصادق عليه السلام: الدنيا بمنزلة صورة، رأسها الكِبر، وعينها الحرص، وأذنها الطمع، ولسانها الرياء، وبدنها الشهوة، ورجلها العُجب، وقلبها الغفلة، وكونها الفناء، وحاصلها الزوال.

فمن أحبها أورثته الكِبر، ومن استحسنها أورثته الحرص، ومن طلبها أدته إلى الطمع، ومن مدحها أكسته الرياء، ومن أرادها مكنته من العُجب، ومن اطمأن اليها أركبته الغفلة، ومن اعجبه متاعها، أفتنته، ولاتبقى له، ومن جمعها وبخل بها ردته إلى مستقرها، وهو النار.

الباب الثالث والثلاثون: الورع

قال الصادق عليه السلام: اغلق ابواب جوارحك عما يرجع ضرره إلى قلبك، ويذهب بوجاهتك عند الله تعالى، ويهدم حسناتك، ويُعقِبك الحسرة

---

(١) نُسب هذا لدلف بن جعفر الشبلي (٣٣٤هـ)، كما يقول السراج الطوسي (ت٣٧٨هـ) في كتابه: اللمع في التصوف، تحقيق: آلن نيكلسون، ط١، ليدن، ١٩١٤، ص٤٠٠.

(٢) في سوى (ف) لرحمتك وأحسنت وداعك.

والندامة يوم القيامة، فالزم الحياء والندم عما اجترحت من السيئات. والمتورع يحتاج إلى ثلاثة أصول، الصفح عن عثرات الخلق أجمعين، وترك خوضه فيهم، واستواء المدح والذم.

وأصل الورع، دوام المحاسبة، وصدق المقاولة، وصفاء المعاملة، والخروج من كل شبهة، ورفض كل زينة وريبة، ومفارقة جميع ما لا يعنيه، وترك فتح أبوابٍ لا يدري كيف يغلقها، ولا تجالس من لا تذكرك بالله مجالسته[1]، ولا تصاحب مستخفّ الدين، ولا تعارض من العلم، ما لا يتحمل قلبك ولا تتفهمه من قائله[2].

الباب الرابع والثلاثون: العِبرة

قال الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المعتبر في الدنيا، عيشه فيها كعيش النائم، يراها ولا يمسها، وهو يزيل عن قلبه ونفسه، باستقباحه معاملة المغرورين بها؛ ما يورثه الحساب والعقاب، ويتبدل بها، ما يقربه من رضى الله وعفوه، ويغسل بماء زوالها مواضع دعوتها اليه، وتزيين نفسها اليه.

فالعبرة تورث صاحبها ثلاثة أشياء، العلم بما يعمل، والعمل بما يعلم، وعلم ما لم يعلم، والعبرة أصلها أولٌ يَخشى آخره، وآخرٌ يُحقق الزهد في أوله، ولا يصح الاعتبار إلا لأهل الصفاء والبصيرة، قال الله تعالى ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾[3]، وقال عز من قائل ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي**

(١) في سوى (ط) ولا يجالس من يشكك عليه الواضح.

(٢) في سوى (ط) زيادة: ويقطع من يقطعه عن الله تعالى.

(٣) الحشر: ٢.

﴿فِي الصُّدُورِ﴾[١]، فمن فتح الله عين قلبه، وبصر عينه بالاعتبار، فقد اعطاه الله منزلة رفيعة، وملكاً عظيماً.

الباب الخامس والثلاثون: التكلف

قال الصادق عليه السلام: المتكلف مخطئٌ[٢] وإن أصاب، والمتطوع مصيب وإن أخطأ، والمتكلف لا يستجلب في عاقبة أمره إلا الهوان، وفي الوقت إلا التعب والعناء والشقاء، والتكلف ظاهره رياء، وباطنه نفاق، وهما جناحان يطير بهما المتكلف، وليس في الجملة[٣] من أخلاق الصالحين، ولا من شعار المتقين؛ التكلف في أي باب كان.

قال الله عز وجل من قائل، لنبيه صلى الله عليه وآله ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[٤]، وقال النبي صلى الله عليه وآله: نحن معاشر الأنبياء والأمناء والأتقياء، براء من التكلف.

فاتق الله واترك عنك التكلف في أي شيء كان، واستقم على منهاج أئمة الهدى[٥]؛ يغنيك عن التكلف، ويطبعك بطباع الإيمان. ولا تُشغل بطعام آخره الخلاء، ولباس آخره البلى، ودار آخرها الخراب، ومال آخره الميراث، وإخوان آخرهم الفراق، وعز آخره الذل، ووفاء آخره الجفاء، وعيش آخره الحسرة.

---

(١) الحج: ٤٦.

(٢) متخلف (ط، ف، ب).

(٣) قد يقال الأنسب للسياق قول (بالجملة) ليكون نفي التكلف مستوعباً لكل صوره، بينما قول (في الجملة) يدل على نسبية النفي، وجوابه إما أن يكون خلطاً من الشارح، أو أنه اصطلاح حديث نشأ بعد عصر المصباح.

(٤) ص: ٨٦.

(٥) س في سوى (ط).

الباب السادس والثلاثون: الغرور

قال الصادق عليه السلام: المغرور خاسر مغبون في الدنيا وفي الآخرة، لأنه باع الأفضل بالأدنى، ولا تعجب بنفسك، فربما اغتررت بمالك وصحة جسمك، أن لعلك تبقى، وربما اغتررت بطول عمرك، وأولادك، وأصحابك، لعلك تنجو بهم، وربما اغتررت بحالك ومنبتك، واصابتك مأمولك وهواك، وظننت أنك صادق ومصيب، وربما اغتررت بما تُري الخلق من الندم على تقصيرك في العبادة، ولعل الله تعالى يعلم من قلبك بخلاف ذلك.

وربما أقمت نفسك على العبادة متكلفاً، والله يريد الاخلاص، وربما افتخرت بعلمك ونسبك، وأنت غافل عن مضمرات ما في غيب الله، وربما توهمت انك تدعو الله، وأنت تدعو هواك، وربما حسبت أنك ناصح للخلق، وانت تريدهم لنفسك ان يميلوا اليك، وربما ذممت نفسك، وانت تمدحها على الحقيقة.

فاعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني، إلا بصدق الهمة والإنابة إلى الله والاخبات له، ومعرفة عيوب احوالك، من حيث لا يوافق العقل والعلم، ولا يحتمله الدين والشريعة، وسنن القدوة وأئمة الهدى، وإن كنت راضياً بما أنت فيه، فما أحد أشقى بعلمه منك، وأضيع عمراً، وأورث حسرة يوم القيامة.

الباب السابع والثلاثون: النفاق

قال الصادق عليه السلام: المنافق قد رضي ببعده عن رحمة الله تعالى، لأنه يأتي بأعماله الظاهرة شبيهاً بالشريعة، وهو لاهٍ لاغٍ مستهزئ بنفسه.

وعلامة النفاق قلة المبالات بالكذب، والخيانة، والوقاحة، والدعوى بلا معنى، واستخانة العين، والسفه والغلظة، وقلة الحياء، واستصغار المعاصي، واستضياع أرباب الدين، واستخفاف المصائب في الدين، والكبر وحب المدح، والحسد، وإيثار الدنيا على الآخرة، والشر على الخير، والحث على النميمة، وحب اللهو، ومعونة أهل الفسق والغي، والتخلف عن الخيرات، والتنقص باهلها، واستحسان ما يفعله من سوء، واستقباح ما يفعله غيره من حُسن، وأمثال ذلك كثيرة.

وقد وصف الله تعالى، المنافقين في غير موضع، فقال عز وجل من قائل ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[1]،وقال عز وجل في صفتهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[2].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: المنافق من إذا وعد أخلف، وإذا فعل أساء، وإذا قال كذب، وإذا أؤتمن خان، وإذا رزق طاش، وإذا منع غاش. وقال النبي صلى الله عليه وآله: من خالفت سريرته علانيته فهو منافق، كائناً من كان، وفي أي زمنٍ كان، وفي أي رتبة كان، وعلى أي دين كان.

الباب الثامن والثلاثون: العقل والهوى

قال الصادق عليه السلام: العاقل من كان ذلولاً عند إجابة الحق، منصفاً بقوله، جموحاً عند الباطل، خصيماً بقوله، يترك دنياه، ولا يترك دينه.

---

(١) الحج: ١١.

(٢) البقرة: ٨.

ودليل العقل شيئان، صدق القول، وصواب الفعل، والعاقل لا يحدث بما تنكره العقول، ولا يتعرض للتهمة، ولا يدع مداراة من أبتُلِيَ بمداراته، ويكون العلم دليله في أعماله، والحلم رفيقه في أحواله، والمعرفة يقينه في مذاهبه.

والهوى عدو العقل، ومخالف الحق، وقرين الباطل. وقوة الهوى من الشهوة، وأصل غليان الشهوة، من أكل الحرام، والغفلة عن الفرائض، والاستهانة بالسنن، والخوض في الملاهي.

الباب التاسع والثلاثون: الوسوسة

قال الصادق عليه السلام: لا يتمكن الشيطان بالوسوسة من العبد، إلا وقد أعرض عن ذكر الله، واستهان بأمره، وسكن إلى نهيه، ونسي اطلاعه على سره.

والوسوسة ما يكون من خارج القلب بإشارة معرفة العقل ومجاورة الطبع، وأما اذا تمكن في القلب، فذلك غي وضلالة وكفر.

والله عز وجل دعا عباده بألطف دعوة، وعرفهم عداوة ابليس، فقال عز من قائل ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[1]، وقال ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾[2].

فكن في دنياك كغريب أو عابر سبيل مع حفظك لنفسك من جميع ما لا يليق بدينك[3]، وإذا أتاك الشيطان موسوساً لك ليضلك عن سبيل الحق، وينسيك ذكر الله، فاستعذ بربك وربِه منه، فإنه يؤيد الحق على الباطل، وينصر

(١) الاعراف: ٢٢.

(٢) فاطر: ٥.

(٣) في سوى (ط) فكن معه كالغريب مع كلب الراعي، يفزع إلى صاحبه في صرفه.

المظلوم، لقوله عز وجل ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[١].

ولن يُقدر على هذا ومعرفة إتيانه، وإذهاب وسوسة الشيطان، إلا بدوام المراقبة، والاستقامة على بساط الكرامة، وهيبة المطلع على ما تُكنه الصدور، وكثرة الذكر لله.

وأما المهمل لأوقاته، فهو صيد الشيطان لا محالة، واعتبر بما فعله بنفسه، من الإغواء والاستكبار، حيث قد غره وأعجبه عمله وعبادته وبصيرته ورأيه. قد أورثه، علمه ومعرفته واستدلاله بمعقوله؛ اللعنة إلى الأبد، فما ظنك بنصيحته لغيره ودعوته له.

فاعتصم بحبل الله الأوثق، وهو الالتجاء والاضطرار[٢]، بصحة الافتقار إلى الله تعالى، في كل نَفَس، ولا يغرنك تزيينه الطاعات عليك، فإنه يفتح لك تسعة وتسعين باباً من الخير، ليظفر بك عند تمام المائة، فقابله بالخلاف والصد عن سبيله، والمضادة باستهوائه.

الباب الأربعون: العُجب

قال الصادق عليه السلام: العجب كل العجب، ممن يُعجب بعمله، ولا يدري بما يختم له، فمن أُعجب بنفسه وعمله، فقد ضل عن نهج الرشد، وادعى ما ليس له، والمدعي من غير حق، كاذب، وإن خفي دعواه، وطال دهره.

وإن أول ما يُفعل بالمعجب، نزع ما أُعجب به، ليعلم انه عاجز حقير، ويشهد على نفسه، ليكون الحجة عليه أوكد، كما فُعل بإبليس. والعُجب، نبات

---

(١) النحل: ٩٨.

(٢) ولا تحكمن على عقلك هواك (ط). وبه ينتهي باب الوسوسة في (ط).

حبها الكفر، وأرضها النفاق، وماؤها الغي، وأغصانها الجهل، وورقها الضلالة، وثمرتها اللعنة والخلود في النار، فمن اختار العُجب، فقد بذر الكفر، وزرع النفاق، ولا بد من أن يثمر[١].

الباب الحادي والأربعون: الأكل

قال الصادق عليه السلام: قلة الأكل محمودة في كل حال، وعند كل قوم، لأن فيه مصلحة الظاهر والباطن، والمحمود من المأكولات أربعة، ضرورة، وعُدة، وفتوح، وقوت، فالأكل ضرورة للأنبياء، والعدة للأتقياء والفتوح للمتوكلين[٢]، والقوت للمؤمنين[٣].

وليس شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة شيئين، قسوة القلب، وهيجان الشهوة. والجوع إدام المؤمن، وغذاء الروح، وطعام القلب، وصحة البدن.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه. وقال داوُد عليه الصلاة والسلام: ترك اللقمة مع الضرورة اليها، أحب إلي من

---

(١) ولا بد أن يصير إلى النار (ع). وفي سوى (ط) ولابد من أن يحصد.

(٢) قيل في شرحها (أكل المتوكلين هو أنه لا يأكلون إلا بإيصال الحق تعالى لهم الغذاء، ولهذا غذاء المتوكلين يعتبر فتحاً لهم، يعني المتوكل صابر ونصيبه أن يفتح له الرزاق الحقيقي؛ ولا يجرأ المتوكل بطلب الرزق منه تعالى) ابو القاسم الشيرازي، مناهج انوار المعرفة، ج١، ص٥٢١.

(٣) قريب منه نُسب إلى سهل بن عبد الله، ينظر: الأصفهاني، الحُلية، ج١٠، ص٢٠٢. وهي قرينة على أثر كلمات الإمام الصادق سلام الله عليه الواردة في المصباح، على ثقافة القرن الثالث الهجري.

قيام عشرين ليلة.

قال النبي صلى الله عليه وآله: المؤمن يأكل بمعاء واحدة، والمنافق يأكل بسبعة أمعاء. وقال النبي صلى الله عليه وآله: ويل للناس من القبقبين، فقيل وما هما يا رسول الله، قال: الحلق والفرج. وقال عيسى بن مريم عليهما السلام: ما مرِض القلب بأشد من القسوة، وما اعتلت نفس بأصعب من بغض الجوع، وهما زمامان للطرد والخذلان.

الباب الثاني والأربعون: غض البصر

قال الصادق عليه السلام: ما اعتصم أحدٌ عصمة هي أفضل، ولا أسنى ولا أكرم من غض البصر[1]، لأن البصر لا يُغض عن محارم الله، إلا وقد سبق إلى قلبه مشاهدة عظمة الله وجلاله. وسئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بماذا يستعان على غض البصر، فقال: بالخمود تحت سلطان المطلع على سرك.

والعين جاسوس القلب، وبريد العقل، فغُض بصرك عما لا يليق بدينك، وينكره عقلك. قال النبي صلى الله عليه وآله: غضوا أبصاركم ترون العجائب. وقال الله عز وجل ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**﴾[2].

وقال عيسى بن مريم عليه السلام، للحواريين: اياكم والنظر إلى المحذورات، فإنها بذور الشهوات، ونبات الفسق. وقال يحيى بن زكريا عليهما

---

(١) ما اغتنم أحد بمثل ما اغتنم بغض البصر (ف). وفي سواها و(ط) ما اعتصم أحد بمثل ما اعتصم بغض البصر.

(٢) النور: ٣٠.

السلام: الموت أحب إلي من نظرة بغير واجب. وقال عبد الله بن مسعود، لرجل نظر إلى امرأة قد عادها في مرضها: لو ذهبت عيناك لكان خير لك من عيادة مريضك.

ولا يطرف عين فيصيب بنظره من محذور، إلا وانعقدت عقدة على قلب من نظر[١]، ولا تنجلي إلا بأحد الحالين، إما ببكاء الحسرة والندامة، بتوبة صادقة، وإما بأخذ حظه مما تمنى ونظر اليه[٢]، فأما التائب الباكي بالحسرة والندامة عن ذلك، فمأواه الجنة، ومنقلبه الرضوان، وأما المتبع لهواه المتجري على خالقه ومولاه فمأواه جهنم وبئس المصير[٣].

الباب الثالث والأربعون: المشي

قال الصادق عليه السلام: إن كنت عاقلاً فقدم العزيمة الصحيحة، والنية الصادقة، في حين قصدك إلى أي مكان أردت، وانهَ نفسك عن التخطي إلى محذور، وكن متفكراً في مشيك، معتبراً بعجائب صنع الله تعالى، أينما بلغت.

ولاتكن متزهياً ولا متجبراً في مشيك، وغض بصرك عما لا يليق بدينك، واذكر الله كثيراً. فإنه جاء في الخبر، ان المواضع التي يُذكر الله فيها

---

(١) في سوى (ط) ولا تتوفى عين نصيبها من النظر إلى محذور، إلا وقد أنعقد عقدة على قلبه من المنين. والمَنينُ: الحبل القوي. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣، ج٨، ص٣٧٥.

(٢) في سوى (ط) فأخذ الحظ من غير توبة مصيره إلى النار. وهي زيادة مستعجلة من قِبل النُساخ، جعلتهم يسقطون الجملة الأخيرة!

(٣) الجملة س في سوى (ط).

وعليها، تشهد بذلك عند الله يوم القيامة، وتستغفر لهم، إلى أن يدخلهم الله الجنة[١].

ولا تكثر الكلام مع الناس في طريقك، فإن فيه سوء الأدب، وأعلم أن الطرق مراصد الشيطان ومتجرته، فلا تأمن كيده، وأجعل ذهابك ومجيئك في طاعة الله، والسعي في رضاه، فإن حركاتك كلها مكتوبة في صحيفتك.

قال الله عز وجل ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٢]، وقال عز وجل ﴿ **وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا**﴾[٣].

الباب الرابع والأربعون: النوم

قال الصادق عليه السلام: نَم نوم المتعبدين، ولا تَنم نوم الغافلين، فإن المتعبدين الأكياس ينامون استرواحاً، ولا ينامون استبطاراً. قال النبي صلى الله عليه وآله: تنام عيني، ولا ينام قلبي.

وانوِ بنومك تخفيف مؤونتك على الملائكة، وعزل النفس عن شهواتها، واعتبر بنومك وفكر في أمرك بأنك عاجز ضعيف[٤]، لا تقدر على شيء من

---

(١) قال الطبرسي (ت٥٤٨هـ) (جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله قال: أتدرون ما أخبارها [الكلام في تفسير الآية ﴿يومئذ تحدث اخبارها﴾ الزلزلة: ٤] قالوا الله ورسوله أعلم، قال: أخبارها أن تشهد على كل عبد، وإنه بما عمل على ظهرها) مجمع البيان، ط٢، قم، ١٤٢٤، ج١٠، ص٤١٩.

(٢) النور: ٢٤.

(٣) الاسراء: ١٣.

(٤) في سوى (ط) واختبر به نفسك فتعرف بأنك عاجز ضعيف.

حركاتك وسكونك إلا بحكم الله تعالى وتقديره[١].

فإن النوم أخُ الموت، فاستدل به على الوقت الذي لا تجد[٢] السبيل إلى الانتباه فيه، ولا تستطيع الرجوع إلى إصلاح ما فات عنك. ومن نام عن فريضة أو سنة، فذلك نوم الغافلين، وسيرة الخاسرين، وصاحبه مغبون، ومن نام بعد أدائه لفرائض ربه وسننه، فذلك نوم محمود.

وإني لا أعلم لأهل زماننا هذا، إذا أتوا بهذه الخصال؛ أسلم من النوم، لأن الخلق تركوا مراعاة دينهم، ومراقبة أحوالهم، وأخذوا شمال الطريق، والعبد إن اجتهد ألا يتكلم، كيف يمكنه ألا يسمع ؟ إلا بآلة معينة له على ذلك، وإن النوم أحد تلك الآلات[٣]، قال الله عز وجل ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[٤].

وإن في كثير النوم آفات، وإن كان على سبيل ما ذكرناه، وكثرة النوم تتولد من كثرة الشرب، وكثرة الشرب من كثرة الشبع، وهما يثقلان النفس عن الطاعة، ويقسيان القلب، عن التفكر والخشوع.

واجعل يومك[٥]، آخر عهدك من الدنيا، وأذكر الله بقلبك ولسانك

(١) الجملة س (ط).

(٢) تجد (ف) .

(٣) ذكر قطب الدين الكيدري (٥٧٦هـ) شعراً لأمير المؤمنين علي صلوات الله عليه:

نوم أمرئٍ خير له من يقظة لم يُرض فيها الكاتبين الحفظة

وفي صروف الدهر للمرء عظة

أنوار العقول من أشعار وصي الرسول، ط١، بيروت، ١٩٩٩، ص٢٦٨.

١. (٤) الاسراء: ٣٦. نهاية الفقرة س (ط).

(٥) في سوى (ط) : واجعل كل نومٍ .

وخِف اطلاعه على سرك واعتقد بقلبك، مستعيناً به في القيام إلى الصلاة إذا انتبهت، فإن الشيطان يقول لك نَم، فإن بعدُ عليك ليلاً طويلاً، يريد تفويت وقت مناجاتك، واعرض حالك على ربك، ولا تغفل من الاستغفار بالأسحار، فإن للقانتين[١] فيه أشواقاً.

الباب الخامس والأربعون: المعاشرة

قال الصادق عليه السلام: حسن المعاشرة مع خلق الله عز وجل، في غير معصية؛ من مزيد فضل الله على عبده، ومن كان خاضعاً لله في السر، كان حسن المعاشرة في العلانية.

فعاشر الخلق لله، ولا تعاشرهم لنصيبك من الدنيا، ولطلب الجاه والرياء والسمعة، ولا تسقطن بسببها عن حدود الشريعة، من باب المماثلة والشهرة، فإنهم لا يغنون عنك شيئا، وتفوتك الآخرة بلا فائدة.

واجعل من هو أكبر منك بمنزلة الأب، والأصغر بمنزلة الولد، والمثل بمنزلة الأخ، ولا تدع ما تعلمه يقيناً من نفسك، بما تشك فيه من غيرك[٢]، وكن رفيقاً في أمرك بالمعروف، شفيقاً في نهيك عن المنكر، ولا تدع النصيحة في كل حال، قال الله عز وجل ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٣].

واقطع عمن تنسيك وصلته ذكر الله، وتشغلك إلفتُه عن طاعة الله، فإن ذلك من أولياء الشيطان وأعوانه، ولا تحملنك رؤيتهم على المداهنة عند الحق، فإن في ذلك الخسران العظيم.

---

(١) للعاملين (ط).

(٢) ولا تشك بما تعلمه يقيناً من نفسك عندما يأتي بخلافه اليك غيرك (ط).

(٣) البقرة: ٨٣.

الباب السادس والأربعون: الكلام

قال الصادق عليه السلام: في الكلام إظهار ما في قلب المرء من الصفاء والكدر، والعلم والجهل. لذلك قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: المرء مخبوء تحت لسانه[١].

فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة، فإن كان لله وفي الله فتكلم، وإن كان في غير ذلك فالسكوت خيرٌ منه، فليس على الجوارح عبادة، أخف مؤونة وأفضل منزلة وأعظم قدراً عند الله من الكلام في رضى الله ولوجهه، ونشر آلائه ونعمائه في عباده.

ألا ترى أن الله عز وجل لم يجعل فيما بينه وبين رسله، معنى يكشف ما أسر إليهم من مكنونات علمه، ومخزونات وحيه؛ غير الكلام، وكذلك بين الرسل والأمم[٢]، وكذلك لا معصية أسهل[٣] على العبد، واسرع عقوبة عند الله، وأشدها ملامة، وأعجلها سآمة عند الخلق؛ من الكلام.

واللسان ترجمان الضمير[٤]، وصاحب خبر القلب، وبه ينكشف ما في سر الباطن، وعليه يحاسب الخلق يوم القيامة.

والكلام خمرٌ يُسكر العقول، ما كان منه لغير الله، وليس شيئاً أحق بطول السجن من اللسان، قال بعض الحكماء: أحفظ لسانك عن خبيث الكلام، وفي غيره لا تسكت إن استطعت، إذا كان لله رضا[٥]. فأما السكينة

---

(١) نهج البلاغة، ص٦٣١.

(٢) في سوى (ط، ع) ثبت بهذا أنه أفضل الوسائل، وألطف العبادة.

(٣) في سوى (ط) أثقل.

(٤) قال أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه (يا كميل: اللسان ينزح من القلب) الحراني، تحف العقول، ص١٧٥.

(٥) س في سوى (ط).

والصمت فهي هيئة حسنة رفيعة من الله عز وجل، وأهل السكينة والصمت أمناء أسراره في أرضه.

الباب السابع والأربعون: المدح والذم

قال الصادق عليه السلام: لا يصير العبد عبداً خالصاً لله عز وجل، حتى يصير المدح والذم عنده سواء.

لأن الممدوح عند الله عز وجل لا يصير مذموماً بذمهم، وكذلك المذموم[١]، فلا تفرح بمدح أحد، فإنه لا يزيد في منزلتك عند الله، ولا يغنيك عن المحتوم لك، والمقدور عليك، وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر[٢]، ولا تحزن بذم أحد، فإنه لا ينقصك عند الله مثقال ذرة، ولا يحط عن درجة خيرك شيئاً، واكتف بشهادة الله تعالى لك وعليك، قال الله عز وجل ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[٣].

ومن لا يقدر على صرف الذم عن نفسه، ولا يستطيع على تحقيق المدح له، كيف يرجى مدحه، أو يخشى ذمه، واجعل مدحك وذمك واحد، وقف في مقام تغتنم مدح الله وتنال رضاه، فإن الخلق خلقوا من ماء مهين، وليس لهم إلا ما سعوا، قال الله عز من قائل ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[٤]، وقال الله عز وجل ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾[٥].

---

(١) وكذلك المذموم عند الله لا يكون ممدوحاً بمدحهم (ع).

(٢) الجملة س في سوى (ط، ع).

(٣) النساء: ٧٩.

(٤) النجم: ٣٩.

(٥) الفرقان: ٣.

الباب الثامن والأربعون: المِراء

قال الصادق عليه السلام: المِراء داء دوي[١]، ليس في الإنسان خصلة أشر منه، وهو خُلق ابليس ونسبته، فلا يُماري أحد في أي حال، إلا من كان جاهلاً بنفسه وبغيره. محروماً من حقائق الدين.

روي أن رجلاً قال للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام: أجلس حتى نتناظر في الدين، فقال: يا هذا أنا بصيرٌ في ديني، مكشوفٌ عليّ هداي، فإن كنت جاهلاً بدينك، فاذهب فاطلبه، ما لي وللمماراة[٢].

وإن الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه، ويقول له ناظر الناس في الدين، كيلا يظنوا بك العجز والجهل؛ لكي يوقعه في المراء والشك والظلال والبغض إلى مماريه[٣].

ثم المِراء لا يخلوا من أربعة وجوه: إما أن تتمارى أنت وصاحبك بما تعلمانه جميعاً، فقد تركتما بذلك النصيحة، وطلبتما الفضيحة، وخنتما ذلك العلم؛ أو تجهلانه جميعاً، فقد أظهرتما إذن جهلاً، وخاصمتما جهلا.

وإما تعلمه أنت فظلمت صاحبك، بطلبك لعثرته، فتركت أنت

---

(١) (داء دوي: شديد) الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد السود، ط١، بيروت، ١٩٩٨، ج١، ص٣٠٤. وفي سوى (ط، ف) داء رديء.

(٢) نُسب هذا لغيره سلام الله عليه، إذ يقول محمد بن الحسين الأجري (٣٦٠هـ) (جاء رجل إلى الحسن [البصري (١١٠هـ]، فقال: يا أبا سعيد تعال حتى أخاصمك في الدين، فقال الحسن: أما أنا فقد أبصرت ديني، فإن كنت أظللت دينك فالتمسه) الأجري، كتاب الشريعة، تحقيق: وليد الناصر، ط١، ١٩٩٦، ج١، ص١٩٠.

(٣) الجملة س في سوى (ط).

حرمته، ولم تنزله منزلته، أو يعلمه صاحبك فيكون كذلك أيضاً، وهذا كله محال، فمن أنصف وقبِل الحق، وترك المماراة، فقد أوثق إيمانه، وأحسن صحبة دينه، وصان عقله.

الباب التاسع والأربعون: الغيبة

قال الصادق عليه السلام: الغيبة حرام على كل مسلم، مأثوم صاحبها في كل حال، وصفة الغيبة، أن تذكر أحداً بما ليس فيه عند الله عيبٌ، أو تذمه بما يحمده أهل العلم فيه.

أو تذكر أحداً بما هو فيه، وقد تاب منه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا ذكرت أحداً بما هو فيه، وهو يكرهه، فقد اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه، فقد بهته. والعجب لمن يشتغل بعيب أحدٍ من الناس، وينسى عيوب نفسه، ولعل المغتاب[1] أقرب الى الله، أو لعله أتى ذنباً فتاب منه وأقلع، فذاكره بعد توبته من ذنبه ولائِمه مأثوم، وبِعظم حرمته مأخوذ[2].

وأما الخوض في ذكر غائب، بما هو عند الله مذموم، وصاحبه فيه ملوم، غير تائب إلى الله من ذنبه ولا مقلع من فعله، فليس بغيبة، وإن كره صاحبه إن سمع به، وكنت أنت معافىً عنه، غير معاقبٍ في ذكره، وتكون مبيناً للحق من الباطل، ببيان الله عز وجل، ورسوله صلى الله عليه وآله.

وأما إذا أردت به نقص المذكور، لغير هذا، فأنت مأخوذ به، وإن كنت

---

(١) المُغتاب هنا بمعنى اسم المفعول، نحو مختار يأتي على صيغتي اسم الفاعل واسم المفعول، ويحددهما السياق. ينظر: السيوطي، الطراز في الألغاز، ط١، القاهرة، ١٤٢٢، ص٣٤.

(٢) الفقرة س في سوى (ط).

مصيباً[١]، قال[٢]: فإن اغتبت أحداً فأبلغ المغتابَ وتحلل منه، فإن لم تلحقه، فاستغفر الله واندم على ما مضى من عِظم جرمك، والغيبة تأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب.

أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام: صاحب الغيبة إن تاب فهو آخر من يدخل الجنة، وإن لم يتب، فهو أول من يدخل النار، وقال الله عز وجل من قائل ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾[٣].

و وجوه الغيبة تقع بذكر عيب في الخلق والخُلق، والفعل والمعاملة، والمذهب والجهل، وأشباهه[٤]، وأصل الغيبة يتنوع لعشرة أنواع، شفاء غيظٍ، أو مساعدة قوم، أو تصديق خبر بلا كشفه، أو تهمة، أو سوء ظنٍ، أو حسدٍ، أو سخرية، أو تعجب، أو تَرجُم[٥]، أو تزين، ولا يفعل هذا إلا من لا يتق الله، فإن أردت السلامة، فاذكر الخالق لا المخلوق، فيصير لك مكان الغيبة عبرة[٦]، ومكان الإثم ثواباً.

---

(١) في سوى (ط) ولكن على شرط ألا يكون للقائل فيه مراد غير بيان الحق والباطل، في دين الله، وأما إذا أراد به نقص المذكور، بغير ذلك المعنى، فهو مأخوذ بفساد مراده، وإن كان صواباً.

(٢) س في سوى (ع). وهي قرينة على أن المصباح شرحٌ لكلمات الإمام الصادق سلام الله عليه.

(٣) الحجرات: ١٢.

(٤) بداية الفقرة س (ط).

(٥) الترجم مصدر الفعل رجم، (والرجمُ: القول بالظن والحدس) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٩٠. وفي سوى (ط) تبرم.

(٦) أجراً (ط).

الباب الخمسون: الرياء

قال الصادق عليه السلام: لا تُرائي بعملك من لا يُحيي ولا يُميت، ولا يُغني عنك شيئاً، والرياء شجرة لا تُثمر إلا الشرك الخفي، وأصلها النفاق، يُقال للمرائي، خذ ثواب عملك ممن عملت له، ممن أشركته معي، فانظر من تعبد ومن تدعو ومن ترجو ومن تخاف.

واعلم انك لا تقدر على إخفاء شيء من باطنك يكون رضىً لله، إلا وقد عظمك الله وقبِل منك ووفقك، فلا تبالي أن تظهر من علمك ما تظهر لله، لا تريد به سواه، ويكون سرك وجهرك سواء، قال الله تعالى للمنافقين ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[1].

وأكثر ما يكون الرياء في النظر والكلام والأكل والمشي والمجالسة وقراءة القرآن والصلاة والجهاد واللباس، والضحك، وسائر العبادات الظاهرة، فمن أخلص باطنه لله، وخشع له بقلبه، ورأى نفسه مقصراً بعد بذل المجهود، واستقام على ذلك ولم يلتفت إلى قول قائل ولم يحب مدحاً ولم يخف ذماً فهو من المفلحين الفائزين بعفو الله الناجين من عذابه[2].

الباب الحادي والخمسون: الحسد

قال الصادق عليه السلام: الحاسد مُضِرٌ بنفسه، نافع للمحسود،

---

(١) البقرة: ٩.

وفي سوى (ط): واعلم انك لا تقدر على إخفاء شيء من باطنك عليه، وتصير مخدوعاً بنفسك، قال الله عز وجل ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

(٢) الجملة في سوى (ط): وجد الشكر عليه حاصلاً، ويكون ممن يرجى له الخلاص من الرياء والنفاق إذا استقام على ذلك في كل حال.

كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة، ولآدم عليه السلام الإجتباء والهدى[١].

فكن محسوداً ولا تكن حاسداً، فإن ميزان الحاسد أبداً خفيف بثقل ميزان المحسود، والرزق مقسوم، فماذا ينفع الحسد الحاسد، وماذا يضر المحسود إذا كان الرزق من الله تعالى.

والحسد أصله من عمى القلوب وجحود فضل الله تعالى، وهما جناحا الكفر، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد[٢]، وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً[٣].

الباب الثاني والخمسون: الطمع

قال الصادق عليه السلام: بلغني إنه سأل[٤] كعب الأحبار، ما الأصلح في الدين وما الأفسد، فقال[٥]: الأصلح الورع، والأفسد الطمع[٦].

والطمع خمر الشيطان، يسقي بيده لخواصه، فمن سكر منه لا يصحو إلا

(١) في سوى (ط، ع) زيادة: والرفع إلى محل حقائق العهد والاصطفاء.

(٢) وبالحسد لابن آدم وقع إبليس في حسرة الأبد (ع).

(٣) في سوى (ط) زيادة: ولا توبة للحاسد لأنه مُصر عليه، معتقد به مطبوع فيه، بلا معارض له، ولا سبب، والطبع لا يتغير عن الأصل وإن عولج.

(٤) في الأصل: سئُل، ويبدو أنها تصحيف لسأل، والسياق مبني على الحذف، أي ان كعباً سأل أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه، لأن الجواب وهو (صلاح الدين في الورع، وفساده في الطمع) ثابت أنه لأمير المؤمنين علي سلام الله عليه، كما في: غرر الحكم، ص٣٩٥. وفي الرسالة القشيرية (ج١، ص٢٣٦) أن الحسن البصري رأى أحد أولاد امير المؤمنين علي سلام الله عليه فقال له ما ملاك الدين فقال الورع، فقال ما فساده قال الطمع.

(٥) أي أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه، بناءً على ما تقدم.

(٦) في الأصل تتمة لا تناسب ما تقدم وهي: فقال السائل صدقت يا كعب!

في أليم عذاب الله، ومجاورة ساقيه، ولو لم يكن في الطمع إلا مُشاراة الدنيا بالدين، لكان عظيماً، قال الله عز وجل ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾[١].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: تفضل على من شئت فأنت أميره، واستغنِ عمن شئت فأنت نظيره، وافتقر إلى من شئت فأنت أسيره[٢].

والطامع منزوع منه الإيمان، وهو لا يشعر، لأن الإيمان يحجز بين العبد وبين الطمع في الخلق، فيقول يا صاحبي خزائن الله عز وجل مملوءة من الكرامات، ولا يضيع الله أجر من أحسن عملاً، وما في أيدي الناس فإنه مشوب بالعلل، فعليك بالورع، فيرده إلى التوكل والقناعة، وقصر الأمل ولزوم الطاعة، واليأس من الخلق، فإن فعل فهو مؤمن والإيمان معه، وإن لم يفعل تركه الإيمان مع شؤم الطمع وفارقه[٣].

الباب الثالث والخمسون: السخاء

قال الصادق عليه السلام: السخاء من أخلاق الأنبياء[٤]. وهو عماد الإيمان، ولا يكون مؤمناً إلا سخياً، ولا يكون سخياً إلا ذو يقين وهمة عالية،

---

(١) البقرة: ١٧٤.

(٢) ينظر: الزمخشري (٥٣٨هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ط١، بيروت، ١٤١٢، ج٣، ص١٨٦.

(٣) في سوى (ط): فإن فعل ذلك فقد صلح، وإن لم يفعل ذلك تركه مع شؤم الطبع وفارقه.

(٤) قال أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه (السخاء خُلق الأنبياء) غرر الحكم، ص٤٦.

لأن السخاء شعاع نور اليقين، ومن عرف ما قصد، هان عليه ما بذل[١]. قال النبي صلى الله عليه وآله: ما جُبل ولي الله إلا على السخاء[٢].

والسخاء ما يقع على كل محبوب، أقله الدنيا، ومن علامة السخي ألا يبالي مَن أكل الدنيا، ومَن ملكها، مؤمنٌ أو كافر، عاصٍ أو مطيع، شريف أو وضيع، يُطعم غيره ويجوع، ويكسو غيره ويعرى، ويعطي غيره ويمتنع، يؤثر ولا يستأثر، ولا يمتن بذلك، ولا يمُن، ولو ملك الدنيا بأجمعها، لم ير نفسه فيها إلا كأفقر من عليها[٣]، ولو بذلها في ذات الله في ساعة واحدة، ما تأمل[٤]!

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار[٥]. ولا يسمى سخياً إلا الباذل في طاعة الله، ولوجه الله، ولو كان برغيفٍ، أو شربة ماء.

قال النبي صلى الله عليه وآله: السخي، بما يملك، وأراد به وجه الله، وأما المتسخي في معاصي الله ولطلب المدحة والرياء، فحمال سخط الله وغضبه، وهو أبخل الناس لنفسه، فكيف لغيره، حيث اتبع هواه، وخالف

---

(١) نسب احمد البيهقي (٤٥٨هـ) فيما بعد هذا القول بلفظ قريب إلى ابراهيم بن أدهم، إذ ينقل عنه (من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل) شعب الإيمان، تحقيق: محمد زغلول، ط١، بيروت، ١٤٢١، ج٢، ص٢٤٨.

(٢) الحديث س (ط).

(٣) في سوى (ط) أجنبياً.

(٤) في سوى (ف) ما مل.

(٥) ينظر: المالكي، تنبيه الخواطر، ج١، ص١٧٩.

أمر الله، قال الله عز وجل ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[1].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: يقول ابن آدم: ملكي ملكي ومالي مالي، يا مسكين أين كنت حيث كان الملك، ولم تكن، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت، إما مرحوم به، أو معاقب عليه، فاعقل ألا يكون مال غيرك أحب اليك من مالك.

وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ما قدمت فهو للمالكين، وما أخرت فهو للوارثين، وما معك ليس لك عليه سبيل، سوى الغرور به، كم تسعى في طلب الدنيا، وتجمع وتدعي، أفتريد أن تفقر نفسك، وتغني غيرك!

الباب الرابع والخمسون: الأخذ والعطاء

قال الصادق عليه السلام: من كان الأخذ أحب إليه من العطاء فهو مغبون، لأنه يرى العاجل بغفلته أفضل من الآجل، فهذه علامة الغافل الذاهل.

فينبغي للمؤمن إذا أخذ أن يأخذ بحق، وإذا أعطى ففي حق، وبحق، ومن حق، فكم من آخذٍ معطٍ لدينه، وهو لا يشعر، وكم من معطٍ مورث نفسه سخط الله، وليس الشأن في الأخذ والإعطاء، ولكن الناجي من اتقى الله في الأخذ والعطاء، واعتصم بحبل الورع، في هذه الدنيا.

والناس في هاتين الخصلتين، خاص وعام، فالخاص ينظر في دقيق الورع، فلا يتناول حتى يتيقن انه حلال، وإذا أشتكل عليه، تناول عند الضرورة، والعام ينظر في الظاهر، ما لم يجده غصباً ولا سرقة، تناول وقال لا بأس هو لي حلال، والأمين في ذلك أن يأخذ بحكم الله، وينفق في رضى الله.

---

(١) العنكبوت: ١٣.

الباب الخامس والخمسون: المؤاخاة

قال الصادق عليه السلام: عزت ثلاثة أشياء في كل زمان، وهي الأخ في الله، والزوجة الصالحة الأليفة تعينه[١] في دين الله، والولد الرشيد[٢].

ومن أصاب احد الثلاثة، فقد أصاب خير الدارين، والحظ الأوفر من الدنيا. واحذر أن تآخي من أرادك لطمع، أو لخوف أو فشل، أو لأكل أو لشرب.

واطلب مؤاخاة الأتقياء، ولو في ظلمات الأرض، وإن أفنيت عمرك في طلبهم، فإن الله عز وجل، لم يخلق على وجه الأرض، أفضل منهم بعد النبيين والأولياء صلوات الله عليهم، وما أنعم الله على العبد بمثل ما أنعم به من التوفيق لصحبتهم، قال الله عز وجل ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾[٣].

---

(١) س في سوى (ف).

(٢) قال الإمام الصادق سلام الله عليه (الأُنس في ثلاث: في الزوجة الموافقة، والولد البار، والصديق المصافي) تحف العقول، ص٣١٨.

(٣) الزخرف: ٦٧.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه (كان لي فيما مضى أخٌ في الله، وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه، وكان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان أكثر دهره صامتاً، فإن قال بذ القائلين ونقع غليل السائلين، وكان ضعيفاً مستضعفاً، فإن جاء الجد فهو ليث غاب وصل واد، لا يدلي بحجة حتى يأتي قاضياً، وكان لا يلوم أحداً على ما يجد العذر في مثله، حتى يسمع اعتذاره، وكان لا يشكو وجعاً إلا عند بُرئه، وكان يفعل ما يقول، ولا يقول ما لا يفعل، وكان إذا غُلب على الكلام، لم يُغلب على السكوت، وكان على أن يسمع

وأظن أن من طلب في زماننا هذا صديقاً بلا عيب، بقي بلا صديق! ألا ترى أن أول كرامة أكرم الله تعالى بها انبياءه عند إظهار دعوتهم، صديقٌ أمين أو ولي.

كذلك من أجلَّ ما أكرم الله به أولياءه وأمناءه ارتضاهم لصحبة انبيائه، وهو دليل على أن ما في الدارين نعمة، هي أجل وأطيب وأزكى من الصحبة في الله، والمؤاخاة لوجهه.

الباب السادس والخمسون: المشاورة

قال الصادق عليه السلام: شاور في أمورك التي هي من أمر دينك وفي رضى خالقك[1]، من فيه خمس خصال، عقل وعلم وتجربة ونصح وتقوى، فإن لم تجد هذه الخصال في أحد من الناس، فاستعملها في نفسك، واعزم وتوكل على الله، فإن ذلك يؤدي بك إلى الصواب.

واعلم إنك إذا قدمت هذه الخصال بين يديك، وشاورت في أمورك من هي فيه أصبت بركة العيش وحلاوة الطاعة[2]. وفي المشاورة أسباب تبدو للعاقل ويستفيد منها علماً جديداً، ويستدل بها على المحصول من المراد، ومثل المشاورة مع أهلها مثل التفكر في خلق السماوات والأرض وفنائهما، لأنه كلما

أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا بدهه أمران نظر أيهما أقرب إلى الهوى فخالفه، فعليكم بهذه الخلائق، فالزموها وتنافسوا فيها، فإن لم تستطيعوها فاعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير) نهج البلاغة، ص٥٢٦.

(١) في سوى (ط) مما يقتضي الدين.

(٢) في سوى (ط) وما كان من أمور الدنيا، التي هي غير عائدة إلى الدين، فاقضها ولا تفكر فيها، فإنك إذا فعلت ذلك أصبت بركة العيش، وحلاوة الطاعة.

قوى تفكره فيهما، غاص في بحر نور المعرفة، وازداد بهما اعتباراً ويقيناً.

ولا تشاور من لا يصدقه قلبك[١]، وإن كان مشهوراً بالعقل والورع، وإذا شاورت من يصدقه قلبك، فلا تخالفه بما يشير به عليك، وإن كان بخلاف مرادك، فإن النفس تجمح عن قبول الحق، وخلافها عند الحقائق أصلح وأسر.

الباب السابع والخمسون: الحلم

قال الصادق عليه السلام: الحلم سراج يستضيء به صاحبه إلى رضى الله وجواره في جنته مع أصفيائه وأوليائه، ولا يكون حليماً إلا المؤيد بأنوار المعرفة والتوحيد.

والحلم يدور على خمسة أوجه، أن يكون عزيزاً فيُذل، أو يكون صادقاً فيتهم، أو يدعو إلى الحق فُيستخف به، أو أن يؤذى بلا جرم، أو أن يطالِب بالحق ويخالفوه فيه، فإن حلمت عند هذه الأمور، وأتيت كلاً منها حقه، فقد أصبت.

وقابل السفيه بالإعراض عنه، وترك الجواب له، تكن الناس انصارك، لأن من جاوب السفيه، فكأنه قد وضع الحطب على النار فاستعر. قال النبي صلى الله عليه وآله: مثل المؤمن كمثل الأرض، منافعهم منها، وأذاهم عليها.

ومن لا يصبر على جفاء الخلق لا يكون حليماً، ولا يصل إلى رضى الله تعالى، لأن رضى الله مشوب بجفاء الخلق، وحُكي أن رجلاً قال للأحنف بن قيس إياك أعني، قال وعنك أحلم[٢]. قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) في سوى (د) عقلك.

(٢) ذكر ابن حجر (٩٧٤هـ) هذه فيما بعد بلفظ آخر (حكي ان إنساناً سب آخر، وزاد عليه فلم يجبه، فضاق صدره، فقال إياك أعني، قال الآخر وعنك أحلم) فتح الإله في شرح المشكاة، تحقيق: احمد المزيدي، ط١، بيروت، ١٤٢٣، ج٧، ص٣٦٨.

بعثت للحلم مركزاً، وللعلم معدناً، وللصبر مسكناً.

وحقيقة الحلم أن تعفو عمن أساء إليك وخالفك، وأنت قادر على الانتقام منه، كما ورد في الدعاء[١]: إلهي أنت أوسع فضلاً وأعظم حلماً من أن تؤاخذني بعملي، وتستزلني بخطيئتي[٢].

الباب الثامن والخمسون: التواضع

قال الصادق عليه السلام: التواضع أصل كل شرف نفيس، ومرتبة رفيعة، ولو كان للمتواضع لغة يفهمها الخلق، لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب.

والتواضع ما يكون في الله ولله، وما سواه فكِبرٌ، والمتكبر في النار، ومن تواضع لله شرفه الله تعالى على كثير من عباده[٣]، ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السماوات من الملائكة، وأهل الأرض من العارفين، قال الله عز وجل ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾[٤].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه (إن لم تكن حليماً فتحلم، فإنه قَل من تشبه بقومٍ إلا أوشك أن يكون منهم) نهج البلاغة، ص٥٠٦.

(١) وهو دعاء ابو حمزة الثمالي، للإمام زين العابدين سلام الله عليه، رواه السيد ابن طاووس في إقبال الأعمال، ج١، ص٦٧.

(٢) الفقرة س (ط، ف).

(٣) وسُئل بعضهم عن التواضع فقال: هو أن يخضع للحق وينقاد اليه، ولو سمعه من صبي، وشر أنواع الكِبر ما يمنع من استفادة العلم وقبوله والانقياد له، وفيه وردت الآيات التي تذم المتكبرين (ع، ص).

(٤) الأعراف: ٤٦.

وأصل التواضع من إجلال الله، وهيبته وعظمته، وليس لله عز وجل، عبادة يقبلها ويرضاها، إلا وبابها التواضع، ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلا المقربون لديه المتصلون بوحدانيته، قال الله عز وجل ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾[١].

وقد أمر الله عز وجل، أعز خلقه وسيد بريته، محمداً صلى الله عليه وآله، بالتواضع، وقال عز وجل ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٢]. والتواضع مزرعة الخشوع والخضوع والخشية والحياء، وإنهن لا ينبتن إلا منها وفيها، ولا يسلم الشرف التام الحقيقي، إلا للمتواضع في ذات الله.

الباب التاسع والخمسون: الإقتداء

قال الصادق عليه السلام: لا يصح الإقتداء إلا بصحة نسبة الأرواح في الأزل وانشراح نور القلب بنور الأزل[٣]، وليس الإقتداء بالتوسم بحركات الظاهر، والتنسب إلى أولياء الله وأهل الدين من الأئمة والحكماء من غير معرفة ولا حقيقة[٤]، قال الله تعالى ﴿**يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾[٥]، أي من كان اقتدى بمُحقٍ قُبل وزَكى، قال الله عز وجل ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ**﴾[٦].

---

(١) الفرقان: ٦٣.

(٢) الشعراء: ٢١٥.

(٣) الجملة س (ط).

(٤) الاقتداء بالسر، ثم بحركات الظاهر والنسب إلى أولياء الدين من الحكمة (ع).

(٥) الاسراء: ٧١.

(٦) المؤمنون: ١٠١.

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها أختلف.

فمن اقتدى بأئمة الهدى سراً وجهراً، واتبع آثارهم قُبل عمله وزكى، ومن عدِل عن منهجهم ولم يسلك سبيلهم وادعى انه مقتدٍ بهم بغير ما حقيقة، فهو منهم بمعزل[١].

قيل لمحمد بن الحنفية، رضي الله عنه، من أدبك، قال أدبني أبي[٢] في نفسي، فما استحسنتُ من أولي الألباب والبصيرة، تبعتهم به واستعملته، وما استقبحتُ من الجهال، اجتنبته وتركته مستنفراً، فأوصلني ذلك إلى كنوز العلم[٣]. ولا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الإقتداء لأنه المنهج الأوضح والمقصد الأصح.

قال الله عز وجل، لأعز خلقه محمد صلى الله عليه وآله ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ**﴾[٤]، وقال عز وجل ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**﴾[٥]، فلو كان لدين الله عز وجل مسلكاً، أقوم من الإقتداء لندب انبياءه وأولياءه إليه.

قال النبي صلى الله عليه وآله: في القلب نور لا يضيء، إلا من إتباع الحق وقصد السبيل، وهو من نور الأنبياء، مودع في قلوب المؤمنين.

---

(١) الفقرة س في سوى (ط).

(٢) في الأصل: ربي. ويبدو أنها من تصحيفات النساخ.

(٣) نسب هذا القول فيما بعد ابن كثير (٧٧٤هـ) لأبن المقفع (ت١٤٢هـ) بلفظ قريب. ينظر: البداية والنهاية، ط١، بيروت، ١٩٨٧، ج١٠، ص٩٩.

(٤) الانعام: ٩٠.

(٥) النحل: ١٢٣.

الباب الستون: العفو

قال الصادق عليه السلام: العفو عند المقدرة من سنن المرسلين وفِعال المتقين.

وتفسير العفو ألا تُلزم صاحبك فيما أجرم، فتأخذه بزلته ولا تقيله عثرته، وقد كان فيما بينكما حسنة ومودة وصحبة، ولعلك قد أصبت ذنوباً وأتيت عيوباً، تحب أن يسترها الله عليك، فأصفح عن عثرات الخلق، وأعفُ عمن كان لك في بعض احوالك مختالاً لا صاحباً.

وإن عظمت عندك زلته فالله الذي عنده توبته أرحم به[١]، ولن يجد إلى ذلك سبيلاً إلا من قد عفا الله عنه، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وزينه بكرامته، وألبسه من نور بهائه.

والعفو والغفران صفتان من صفات الله عز وجل، أودعهما في أسرار أصفيائه، ليتخلقوا مع الخلق بأخلاق خالقهم، وجاعلهم، لذلك قال الله عز وجل ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[٢]، ومن لا يعفو عن بشر مثله، كيف يرجو عفو ملكٍ جبار.

قال النبي صلى الله عليه وآله، حاكياً عن ربه، يأمره بهذه الخصال، قال: صِل من قطعك، واعف عمن ظلمك، واعطِ من حرمك، وأحسن إلى من أساء إليك[٣]. وقد أُمرنا بمتابعته، يقول الله عز وجل ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ**

---

(١) في سوى (ط): وتفسير العفو ألا تُلزم صاحبك فيما أجرم ظاهراً، وتنسى من الأصل ما أُصبت منه، باطناً، وتزيد على الاحسان إحساناً.

(٢) النور: ٢٢.

(٣) قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه (فالمتقون في هذه الدنيا هم أهل

فَخُذُوه وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[١]، والعفو سر الله في قلوب خواصه ممن يسر له سره.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم، قالوا يا رسول الله وما أبو ضمضم قال رجل كان ممن قبلكم، كان إذا أصبح يقول: أللهم إني تصدقت بعِرضي على الناس عامة[٢].

الباب الحادي والستون: حُسن الخُلق

قال الصادق عليه السلام: حُسن الخُلق جمال في الدنيا، نزهة في الآخرة، وبه كمال الدين، والقربة إلى الله عز وجل.

ولا يكون حُسن الخُلق إلا في كل ولي، لأن الله تعالى أبى أن ينزل ألطافه، وحُسن الخُلق؛ إلا في مطايا نوره الأعلى، وجماله الأزكى، لأنها خصلة يختص بها أعزاءه الأعرفين به، ولا يعلم ما في حقيقة حُسن الخُلق إلا الله عز وجل.

الفضائل ... إذا زكي أحدهم خاف مما يقال له، فيقول أنا اعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي من نفسي .. يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، ويحسن إلى من أساء اليه) تمام نهج البلاغة، ص٢٠٠.

(١) الحشر: ٨.

(٢) هذا الحديث مشهور في كتب العامة، ينظر مثلاً: احمد بن محمد الشافعي (ت٣٦٤هـ)، عمل اليوم والليلة، تحقيق: عبد الرحمن البرني، ط١، بيروت، ١٩٨٨، ص٦٥. وأبو ضمضم، رجلٌ مجهول غير منسوب، وهو من الأمم الماضية، ينظر: العسقلاني، الإصابة، ج٧، ص١٩١.

ومعنى العِرض في الحديث، هو موضع المدح والذم، سواء كان في نفس الإنسان أو في سلفه، فالمعنى تصدقت على من ذكرني بما يرجع إلي عيبه، أو ما يلحقني من الأذى في أسلافي. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص١٨٢.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خاتم رسالتي حُسن الخُلق، والخُلق الحسن، ألطف شيء في الدين، وأثقل شيء في الميزان، وسوء الخُلق يفسد العمل، كما يفسد الخل العسل[١]. وصاحبه وإن ارتقى في الدرجات فمصيره إلى النار.

قال الله عز وجل، يمدح نبيه بحُسن الخلق ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: حَسِنُ الخُلق يُدرك بِحُسن خُلقه درجة الصائم نهاره، القائم ليله، وسيِّئ الخُلق يكتب جباراً وإن لم يملك إلا أهله[٣].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حُسن الخُلق شجرة في الجنة، وصاحبه متعلق بغصنها، تجذبه اليها، وسوء الخُلق شجرة في النار وصاحبه متعلق بغصنها تجذبه اليها.

الباب الثاني والستون: العلم

قال الصادق عليه السلام: العلم أصل كل حالٍ سني، ومنتهى كل منزلة رفيعة.

لذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: طلب العلم فريضة على كل مسلم. أي علم التقوى واليقين. وقال النبي صلى الله عليه وآله: اطلبوا العلم ولو بالصين. وهو علم معرفة النفس، وفيه معرفة الرب عز وجل، قال النبي صلى

(١) الفقرة الأخيرة من الحديث، رواها الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) بسند عن الإمام الرضا سلام الله عليه، كما في: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ط٢، بيروت، ١٤٣٤، ج٢، ص٤٠.

(٢) القلم: ٤.

(٣) الفقرة س في سوى (ط).

الله عليه وآله: من عرف نفسه فقد عرف ربه[١]. ثم عليك بالعلم بما لا يصلح العمل إلا به، وهو الإخلاص.

فإن النبي صلى الله عليه وآله استعاذ بالله من علم لا ينفع، وهو العلم الذي يضاد العمل بالإخلاص، وأعلم ان قليل العلم، يحتاج إلى كثير العمل، لأن علم ساعة يُلزم صاحبه العمل طول دهره.

قال عيسى بن مريم عليه السلام: رأيت حجراً عليه مكتوب، اقلبني، فقلبته، فإذا على باطنه، من لا يعمل بما يعلم، مشومٌ[٢] عليه طلب ما لا يعلم، ومردود عليه ما عمل[٣].

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: إن أهون ما أنا صانع بعالم غير عامل بعلمه، أشد من سبعين عقوبة باطنية، أن أُخرج من قلبه حلاوة ذكري[٤].

---

(١) قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه (من عرف نفسه فقد عرف ربه) غرر الحكم، ص٥٨٨.

(٢) مشوم تخفيف لمشؤوم، وهو خلاف اليُمن والبركة.

(٣) نُسب فيما بعد إلى رجل مجهول! قال محمد بن حبان (ت٣٥٤هـ) (عن نصر بن مزاحم قال خرج رجل في طلب العلم فاستقبله حجر، فإذا فيه مكتوب أقلبني تعتبر، فإذا فيه مكتوب أنت بما تعلم لا تعمل، كيف علم مالا تعلم) كتاب الثقات، ط١، حيدر آباد، ١٣٩٣، ج٩، ص٢١٥.

(٤) قال النبي محمد صلّى الله عليه وآله وسلم (أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام، لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا بالدنيا، فيصدك عن طريق محبتي، فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريدين، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم) أصول الكافي، ج١، ص٦٥.

فليس إلى الله عز وجل طريق يسلك إلا بعلم، والعلم زين المرء في الدنيا، وسائقه إلى الجنة، وبه يصل إلى رضوان الله تعالى، والعالم حقاً هو الذي تنطق عنه أعماله الصالحة وأوراده الزاكية، وصدقه وتقواه، لا لسانه وتطاوله ودعواه.

قال النبي صلى الله عليه وآله: يا أبا ذر اغدُ عالماً أو متعلماً، ولا تكن الثالث فتهلك. وقال صلى الله عليه وآله: طالب العلم تنشر له الملائكة أجنحتها، رضىً بما يفعل، والمتعلم والمعلم في الآخرة سواء، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى الله عليه: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، والثالث همج رعاع، أتباع كل ناعق، وسبقة كل سابق[١].

ولقد كان يطلب هذا العلم في غير هذا الزمان من كان فيه عقل ونسك وحكمة، وحياء وخشية، وإنا نرى طالبه اليوم من ليس فيه من هذه الخصال شيءٌ. والمتعلم يحتاج إلى رغبة وإرادة وفراغ ونسك وخشية وحفظ وحزم، والمعلم يحتاج إلى عقل ورفق وشفقة ونصح وحلم، وصبر وبذل.

الباب الثالث والستون: الفُتيا

قال الصادق عليه السلام: لا تحل الفُتيا لمن لا يستفتي من الله عز وجل، بصفاء سره، وإخلاص عمله، على بينة وبرهان من ربه. لأن من أفتى فقد حكم، والحكم لا يصح إلا بإذن من الله وبرهان، ومن حكم بالخير بلا معاينة، فهو جاهل مأخوذ بجهله، ومأثوم بحكمه[٢]. وليس أحدٌ أشد عقوبة

---

(١) ينظر: نهج البلاغة، ص٤٩٦. والفقرة س في سوى (ط).

(٢) قال الإمام الصادق سلام الله عليه (القضاة أربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة: رجل

وأعظم جرماً ممن يدعي الحكم بغير علم[١].

قال النبي صلى الله عليه وآله: أجرأكم على الفتُيا، أجرأكم على الله عز وجل[٢]. أولا يعلم المفتي انه هو الذي يدخل بين الله تعالى وبين خلقه، وهو الحاجز بين الجنة والنار. وقال سفيان بن عُيينة، كيف ينتفع بعلمي غيري، وأنا قد حرمت نفسي نفعها.

ولا يسلم من الفُتيا في الحلال والحرام بين الخلق، إلا من كان عالماً بكتاب الله وسنة نبيه، وتفسير الكتاب وفصل الخطاب، والناسخ والمنسوخ، وبواطن الإشارات والآداب، والإجماع والاختلاف، فإذا كان على هذه الحالة، فلعل ولعسى! لأن الحكم أمانة عظيمة[٣].

قضى بجور وهو يعلم فهو في النار، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة. وقال عليه السلام: الحكم حكمان، حكم الله وحكم الجاهلية، فمن أخطأ حكم الله، حكم بحكم الجاهلية) أصول الكافي، ج٧، ص٤٠٧. وهذا خلاف ما عليه العامة وما ينقلون (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر) محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، تحقيق: احمد شاكر، ط١، مصر، ١٩٣٨، ص٤٩٤.

(١) الجملة س في سوى (ط).

(٢) في سنن الدارمي (ت٢٥٥هـ) (أجرؤكم على الفتيا، أجرؤكم على النار) تحقيق: حسين الداراني، ط١، بيروت، ١٤٢١، ج١، ص٢٥٨.

(٣) في سوى (ط، ف، ص) ولا تحل الفُتيا في الحلال والحرام بين الخلق إلا لمن كان أتبع الخلق من أهل زمانه وناحيته وبلدته، بالنبي صلى الله عليه وآله. قال النبي صلى الله عليه وآله: وذلك لربما ولعل ولعسى، لأن الفُتيا عظيمة! وفي (ف، ص) ولا تحل الفُتيا في الحلال والحرام بين الخلق إلا لمن اتبع الحق، لا لمن ابتغى رضى الخلق؛ وعرف ما يصلح من فُتياه.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لقاضٍ: هل تعرف الناسخ من المنسوخ، قال لا، قال فهل أشرفت على مراد الله عز وجل في أمثال القران، قال لا، قال إذن هلكت وأهلكت.

والمُفتي يحتاج إلى معرفة معاني القران، وحقائق السنن، وبواطن الإشارات والآداب، وحقائق السنن، والاجماع والاختلاف ثم إلى حُسن الاختيار، ثم إلى العمل الصالح، ثم الحكمة والحلم ثم التقوى، ثم حينئذ إن قدر!

الباب الرابع والستون: الأمر بالمعروف

قال الصادق عليه السلام: من لم ينسلخ من هواجسه، ولم يتخلص من آفات نفسه، وشهواته، ولم يهزم الشيطان، ولم يدخل في كنف الله تعالى وأمان عصمته؛ لا يصلح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه إذا لم يكن بهذه الصفة، فكلما أظهر أمراً كان حجة عليه، ولا ينتفع الناس بأمره.

قال الله عز وجل ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[١]، وينادى به، يا خائن أتطالب خلقي بما خنت به نفسك، وأرخيت عنه عنانك!

روي أن ثعلبة الخشني[٢]، سأل رسول الله صلى الله عليه وآله، عن هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[٣]،

---

(١) البقرة: ٤٤.

(٢) صحابي أسلم يوم خيبر، وبعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله، انتقل إلى الشام وعاش ومات بها سنة (٧٥هـ) والذي يظهر انه لم ينصر أمير المؤمنين علي سلام الله عليه، خصوصاً في صفين، فقد اعتزل عنها، ينظر: العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص٥٠.

(٣) المائدة: ١٠٥.

فقال صلى الله عليه وآله: وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك أمر العامة.

وصاحب الأمر بالمعروف، يحتاج إلى ان يكون عالماً بالحلال والحرام، فارغاً من حاجة نفسه، خاصة فيما يأمرهم به، وينهاهم عنه، ناصحاً للخلق رحيماً بهم، رفيقاً بهم، داعياً لهم بألطف لسان وأحسن بيان، عارفاً بتفاوت أخلاقهم، لينزل كلاً منزلته، بصير بمكر النفس ومكائد الشيطان، صابراً على ما يلحقه.

ولا يشكو همه، ولا يستعمل الحمية، ولا يتعصب لنفسه، مجرداً نيته لله، مستعيناً به ومبتغياً لوجهه، فإن خالفوه وجفوه، صبر، وإن وافقوه وقبلوا منه، شكر، مفوضاً أمره إلى الله، ناظراً إلى عيبه.

الباب الخامس والستون: في الخشية

قال الصادق عليه السلام: الخشية ميراث العلم، والعلم شعاع المعرفة، والمعرفة قلب الإيمان، ومن حُرم الخشية لا يكون عالماً، وإن شق الشعر[1] في متشابهات العلم[2].

قال الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[3]. وآفة العلماء ثمانية أشياء: الطمع والبخل والرياء والافتخار وترك العمل بما علموا

(١) قال الراغب الأصفهاني (قولهم " فلان يشق الشعر في كذا " إذا دقق النظر فيه، ومنه أُخذ الشاعر، لإدراكه دقائق المعاني) كتاب التفسير، تحقيق: محمد بسيوني، ط١، مصر، ١٩٩٩، ج١، ص٩٨.

(٢) الجملة س (ط).

(٣) فاطر: ٢٨.

والغضب وحب المدح وقلة الحياء من الله[١].

قال عيسى بن مريم عليه السلام: أشقى الناس من هو معروف عند الناس بعلمه، مجهول بعمله، قال النبي صلى الله عليه وآله: لا تجلسوا إلا مع عالم يدعوكم من خمس إلى خمس، من الكبر إلى التواضع، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الشك إلى اليقين، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن الغش إلى النصيحة. ولا يصلح لموعظة الخلق، إلا من جاوز هذه العقبات بصدقه، وأشرف على عيوب الكلام وأقله، وعرف الصحيح من السقيم، وعلل الخواطر، وقهر النفس والهوى.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: كن كالطبيب الرفيق الشفيق، الذي لا يضع الدواء إلا حيث ينفع.

الباب السادس والستون: آفة القراء

قال الصادق عليه السلام: المُقرئ بلا علم كالمُعجب بلا مال ولا مُلك، يبغض الناس لفقره، ويبغضونه لعجبه، فهو أبداً مخاصم للخلق من غير واجب، ومن خاصم الخلق فيما لم يؤمر به فقد نازع الخالقية والربوبية[٢].

قال الله عز وجل ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[٣]، وليس أحداً أشد عقاباً ممن لبس قميص النسك بالدعوى بلا حقيقة

---

(١) في سوى (ط، ع) وآفة العلماء عشرة أشياء: الطمع، والبخل، والرياء، والعصبية، وحب المدح، والخوض فيما لم يصلوا إلى حقيقته، والتكلف في تزيين الكلام بزوائد الألفاظ، وقلة الحياء من الله، والافتخار، وترك العمل بما علموا.

(٢) الجملة س (ط).

(٣) الحج: ٨.

ولا معنى، قال زيد بن ثابت لابنه، يا بني لا يرى الله أسمك في ديوان القُراء.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: سيأتي على أمتي زمانٌ، تسمع فيه الرجل خير من أن تلقاه، وإن تلقاه خير من أن تخبره، فإذا خبرته فررت منه. وقال النبي صلى الله عليه وآله: أكثر منافقي أمتي قراؤها.

فكن حيث نُدبت إليه، وأُمرت به، وأخفِ سرك من الخلق ما استطعت، واجعل طاعتك لله بمنزلة روحك من جسدك، ولتكن معتبراً حالك وما تحققت بينك وبين بارئك، واستعن بالله في جميع أمورك، متضرعاً اليه في آناء ليلك وأطراف نهارك.

قال الله عز وجل ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[1]. والاعتداء من صفة قُراء زماننا هذا وعلامتهم، ولتكن من الله في جميع أحوالك على وجل، لئلا تقع في ميدان النهي فتهلك.

الباب السابع والستون: بيان الحق من الباطل

قال الصادق عليه السلام: اتقِ الله، وكن حيث شئت، وفي أي قوم شئت.

فإنه لا خلاف لأحد في التقوى، والمتقي محبوب عند كل فريق، وفيه جماع كل خير ورُشد، وهو ميزان كل علم وحكمة، وأساس كل طاعة مقبولة.

والتقوى ماء ينفجر من عين المعرفة بالله، يحتاج اليه كل فنٍ من العلم والعبادة، وهو لا يحتاج إلا إلى تصحيح المعرفة، بالخمود تحت هيبة الله وسلطانه، ومزيد التقوى يكون من أصل اطلاع الله على سر العبد بلطفه، فهذا أصل الحق.

وأما الباطل، فهو ما يقطعك عن الله، ومتفق عليه أيضاً عند كل فريق

---

(١) الاعراف: ٥٥.

من الناس، فاجتنبه، وأفرد سرك لله تعالى بلا علاقة[١]. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أصدق كلمة قالتها العرب، كلمة لبيد، حيث يقول:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

والزم ما أجمع عليه أهل الصفاء والتقى، من أصول الدين، وحقائق اليقين، والرضى والتسليم، ولا تدخل في اختلاف الخلق ومقالاتهم، فيصعب عليك، وقد اجتمعت الأمة المختارة، بإن الله واحد، ليس كمثله شيء، وانه عدلٌ في حكمه، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا يقال له في شيء مِن صنعه لِمَ، ولا كان ولا يكون شيء إلا بمشيئته، وانه قادر على ما يشاء، وصادق في وعده ووعيده، وإن القرآن كلامه وإيجاده[٢]؛ وإنه كان قبل الكون والمكان والزمان، وإن إحداث الكون وفناءه عنده سواء، ما ازداد بإحداثه لجميع المحدثات علماً[٣]، ولا ينقص ملكه وسلطانه إفناؤه، عز سلطانه وجل سبحانه.

فمن أورد عليك ما ينقض هذا الأصل، فلا تقبله، وجرد باطنك لذلك، ترى بركاته عن قريب، وتفوز مع الفائزين.

---

(١) الجملة س (ط).

(٢) في سوى (ف، ص، د) وإن القرآن مخلوق!

(٢) قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه (الحمد لله الدال على وجوده بخلقه ... عالم إذ لا معلوم، وربٌ إذ لا مربوب، وقادر إذ لا مقدور) نهج البلاغة، ص٢١٢. وله صلوات الله عليه في دعاء الصباح (وعلم بما كان قبل أن يكون) ابن باقي الحلي، المصباح، ص٢٧٨. فعلمه تعالى بالأشياء غير متوقف على وجود الأشياء، كما توهم كثيرٌ من الفلاسفة والمتصوفة، الذين تورطوا بقياس العلم الإلهي على العلم البشري ! فجازفوا وقالوا بأن العلم الإلهي بالأشياء مستفادٌ من الأشياء !

الباب الثامن والتاسع والستون: في معرفة الأنبياء والأئمة[١]

قال الصادق عليه السلام: إن الله عز وجل مكن أنبياءه من مخزون علمه، وخزائن لطفه وكرمه ورأفته ورحمته، وعلمهم من مخزون علمه، وأفردهم من جميع الخلائق أجمعين لنفسه، فلا يشبه أخلاقهم وأحوالهم أحد من الخلائق أجمعين.

إذ جعلهم وسائل سائر الخلق إليه، وجعل حبهم وطاعتهم سبب رضاه، وخلافهم و إنكارهم سبب سخطه، وأمر كل قوم باتباع ملة رسولهم، ثم أبى أن يقبل طاعة أحد إلا بطاعتهم وتبجيلهم، ومعرفة حرمتهم ووقارهم وتعظيم وجاهتهم عند الله.

فعظم جميع أنبياء الله ولا تنزلهم منزلة أحد ممن دونهم، ولا تتصرف بعقلك في مقاماتهم وأحوالهم وأخلاقهم، إلا ببيان محكم من عند الله[٢]، وإجماع أهل البصائر بدلائل تحقق بها فضائلهم ومراتبهم، وأنى الوصول إلى حقيقة ما لهم عند الله.

وإن قابلت أقوالهم وأفعالهم بمن دونهم من الناس أجمعين، فقد أسأت صحبتهم، وأنكرت معرفتهم، وجهلت خصوصيتهم بالله، وسقطت عن درجة حقائق الإيمان والمعرفة، فإياك ثم إياك[٣].

---

(١) انفردت (ف) بدمج البابين سوية.

(٢) سيأتي في الباب السابع والثمانين بيان تفاوت رُتب الأنبياء، وبماذا تتفاوت؟

(٣) لأن أحداً إذا أنكر شيئاً من أحوال الأكابر، يحرم من الفيوضات الإلهية، فلا تغفل، والحاصل يجب على السالك إلى الله أن يسلم بهذا القول من جهة جميع الوجوه البتة، فيكون مثل الميت بيد الغسال، فيكون سيد القوم. هامش (ع).

روي[١] بإسناد صحيح عن سلمان الفارسي قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما نظر إلي فقال صلى الله عليه وآله: يا سلمان ان الله عز وجل لن يبعث نبياً ولا رسولاً إلا وله اثنا عشر نقيبا.

قال: قلت يا رسول الله عرفتُ هذا من أهل الكتابين التوراة والإنجيل، قال: يا سلمان هل عرفت نقبائي الاثني عشر الذين اختارهم الله تعالى للإمامة من بعدي، فقلت الله ورسوله اعلم.

فقال: يا سلمان خلقني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعته، فخلق من نوري علياً ودعاه فأطاعه، فخلق من نوري ونور علي فاطمة ودعاها فأطاعته فخلق مني ومن علي وفاطمة، الحسن والحسين، فدعاهما فأطاعاه فسمانا تعالى بخمسة أسماء من أسمائه.

فالله تعالى المحمود وانا محمد، والله العلي وهذا علي، والله الفاطر وهذه فاطمة، والله ذو الاحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين.

ثم خلق منا ومن نور الحسين تسعة أئمة، فدعاهم فأطاعوه من قبل ان يخلق الله تعالى سماء مبنية، وأرضاً مدحية، أو هواء أو ملكاً أو بشراً، وكنا أنواراً نسبحه ونسمع له ونطيع.

قال سلمان: فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي فما لمن عِرف هؤلاء حق

---

(١) من هنا يبدأ باب معرفة الأئمة سلام الله عليهم، وتخلو بعض المخطوطات المتقدمة والمتأخرة من هذا الباب، ويحتل مكانه باب في معرفة الصحابة! كما في المخطوط الزيدي (ط)، وغيره، ولا يخفى عدم إنسجام هذا الباب مع عقيدتي الزيدية والاسماعيلية، فيظهر أن الباب البديل من إضافاتهم، لوجود باب معرفة الأئمة عليهم السلام في مخطوطات كثيرة، أهمها (ف) كونه في الحقبة الزمنية نفسها للمخطوطين!

معرفتهم، فقال يا سلمان من عرفهم حق معرفتهم واقتدى بهم، ووالى وليهم، وتبرأ من عدوهم، فهو والله منا، يرد حيث نرد ويسكن حيث نسكن. فقلت يا رسول الله فهل إيمانٌ بغير معرفةٍ بأسمائهم وأنسابهم، فقال لا يا سلمان، قلت يا رسول الله فأنى لي بهم، وقد عرفت إلى الحسين.

فقال صلى الله عليه وآله: ثم سيد العابدين علي بن الحسين، ثم ابنه محمد بن علي باقر علم الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم جعفر بن محمد لسان الله الصادق، ثم موسى بن جعفر، الكاظم غيظه صبراً في الله تعالى، ثم علي بن موسى الرضا، الراضي بسر الله تعالى، ثم محمد بن علي المختار من خلق الله، ثم علي بن محمد الهادي إلى الله، ثم الحسن بن علي الصامت الأمين لسر الله، ثم محمد بن الحسن، الناطق القائم بحق الله تعالى.

ثم قال: يا سلمان إنك مدركه، ومن كان مثلك، ومن تولاه بحقيقة المعرفة. قال سلمان: فشكرت الله كثيراً، ثم قلت يا رسول الله، وإني مؤجل إلى عهده، قال يا سلمان اقرأ ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا**﴾[1].

قال سلمان: فاشتد بكائي وشوقي، ثم قلت يا رسول الله، أبعهدٍ منك، فقال أي والذي بعثني وأرسلني لبعهد مني ومن علي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة، وكل من هو منا ومعنا، ومضام فينا، وكل من محض الايمان محضاً، أي والله يا سلمان ليحضرن إبليس وجنوده وكل من محض

(١) الإسراء: ٥-٦.

الكفر محضاً، حتى يؤخذ بالقصاص والأوتار، ولا يظلم ربك أحداً. ونحن تأويل هذه الآية ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[1].

قال سلمان فقمت من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وما يبالي سلمان متى لقى الموت أو الموت لقاه[2].

---

(١) القصص: ٥-٦.

(٢) والخبر رواه أيضاً الحسين بن حمدان الخصيبي، في كتابه الهداية الكبرى، ص٤٤٤.

وهذا الباب يدل بوضوح على الوصية والأئمة الإثني عشر صلوات الله عليهم، كذلك يدل على مسألة الرجعة، أي رجوع الأموات إلى عالم الدنيا من جديد، وربما يشكل البعض – تبعاً لبعض المتفلسفين – بأن هذا تناسخاً، والتناسخ محال، إذن الرجعة أمر محال، وعليه لا بد من تأويل هكذا أخبار، وحملها على رجوع دولتهم سلام الله عليهم، ورجوع عز المؤمنين، لا رجوع ذواتهم، وهذا الإشكال غير وارد، لأن رجوع النفس إلى الجسم، أمر ممكن، والتناسخ هو عبارة عن استمرارية هذا الرجوع، فصار ممنوعاً، لأن فيه إنكار يوم القيامة الأخروي، أما الرجوع المؤقت، ليعقبه موت فقيامة أخروية، فلا إشكال فيه، وهذا معنى الرجعة، أما أدلة الفلاسفة في منع رجوع النفس إلى الجسم بعد الموت، فكلها مردودة، ولا يسع المقام للخوض في تفاصيل المسألة، بل نكتفي بالقول بأن قول الفلاسفة باستحالة رجوع النفس إلى الجسم بعد الموت، مخالف لصريح القران والبرهان، فكان عيسى عليه السلام يحيي الأموات، وأصحاب الكهف رجعوا إلى الدنيا من بعد طول ممات، والوقوع دليل الإمكان، إذن من الممكن فلسفياً رجوع النفس إلى عالم الدنيا، وبصور مختلفة تبعاً للمشيئة الإلهية، فالأمر سيان من حيث الإمكان.

الباب السبعون: حرمة المؤمنين[١]

قال الصادق عليه السلام: لا يعظّم حرمة المؤمنين إلا من قد عظم الله حرمته على المؤمنين. ومن كان أبلغ حرمة لله ورسوله صلى الله عليه وآله، كان أشد تعظيماً لحرمة المؤمنين، ومن استهان بحرمة المؤمنين، فقد هُتك ستر إيمانه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن من إجلال الله إعظام ذوي القربى في الإيمان. وقال النبي صلى الله عليه وآله: من لم يرحم صغيراً، ولا يوقر كبيراً، فليس منا.

ولا تكفر مؤمناً، بذنبٍ تكفره التوبة، إلا من ذكره الله في الكتاب، قال الله عز وجل ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[٢]. واشتغل بشأنك الذي أنت به مطالب.

الباب الواحد والسبعون: بر الوالدين

قال الصادق عليه السلام: بر الوالدين من حُسن معرفة العبد بالله، إذ لا عبادة أسرع بلوغاً بصاحبها إلى رضى الله من خدمة الوالدين المسلِمَين، لوجه الله تعالى.

لأن حق الوالدين مشتق من حق الله تعالى، إذا كانا على منهاج الدين والسنة، وأما إذا كانا مخالفين لأمر الله يمنعان الولد من الزهد في الدنيا، ويأمرانه بما لا يرضي الله، فمعصيتهما إذن طاعة لله، وطاعتهما معصية[٣].

---

(١) في سوى (ف) المسلمين. وهكذا في كل الباب.

(٢) النساء: ١٤٥.

(٣) في سوى (ط) ولا يكونان يمنعان الولد من طاعة الله إلى طاعتهما، ومن اليقين إلى

قال الله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾[1].

وأما في باب العشرة فدارهما وارفق بهما واحتمل أذاهما، بحق ما احتملا عنك في حال صغرك، ولا تضيق عليهما فيما قد وسع الله عليك من المأكول والملبوس، ولا تحول وجهك عنهما، ولا ترفع صوتك فوق صوتهما، فإن تعظيمهما من أمر الله، وقل لهما بأحسن القول وألطفه.

هذا إن كانا على سبيل ما ذكرنا من المعصية، دون غيرهما من جميع القرابات، وأما إن كانا مسلمين ولله مطيعين، فهيهات! فبرهما من أعظم العبادات، ويطول شرح فضل ذلك[2]، وإن الله لا يضيع أجر المحسنين.

الباب الثاني والسبعون: الموعظة

قال الصادق عليه السلام: أحسن المواعظ ما لا يُجاوز القول حد الصدق، والفعل حد الإخلاص. وإن مَثَلَ الواعظ والموعوظ كاليقظان والنائم، فمن استيقظ من رقدته وزالت غفلته، ومخالفاته لربه، وتخلص إلى الله وهرب من ذنوبه ومعاصيه، صلح أن يوقظ غيره عن غفلته، كما أيقظ نفسه.

وأما السائر في مفاوز الاعتداء، والخائض في مراتع الغي، وترك الحياء،

الشك، ومن الزهد إلى الدنيا، ولا يدعوانه إلى خلاف ذلك، فإن كانا كذلك! فمعصيتهما إذن طاعة، وطاعتهما معصية. (وإن كانا على خلاف ذلك، فمعصيتهما إذن طاعة، وطاعتهما معصية) (ف).

(١) العنكبوت: ٨.

(٢) الفقرة س في سوى (ط). وهي قرينة على أن مصنف المصباح، في مقام شرح كلمات الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه، ومثلها في الباب التاسع والسبعين.

باستحباب السمعة والرياء، والشهرة والتصنع للخلق، المتزيي بزي الصالحين، المظهر بكلامه عمارة باطنه، وهو في الحقيقة خالٍ عنها، قد عمرتها وحشة حب المحمدة، وغشيتها ظلمة الطبع؛ فما أفتنه بهواه، وما أضل الناس بمقالته، قال الله عز وجل ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[1].

وأما من عصمه الله بنور التأييد، وحسن التوفيق، وطهر قلبه من الدنس، فلا يفارق المعرفة والتقوى[2]، قال عيسى بن مريم عليه السلام: جالسوا من تذكركم بالله رؤيته ولقاؤه، فضلاً عن الكلام. ولا تجالسوا من توافقه ظواهركم وتخالفه بواطنكم، فإن ذلك المدعي ما ليس له، إن كنتم صادقين في استفادتكم.

وإذا لقيت من فيه ثلاث خصال، فاغتنم رؤيته ولقاءه ومجالسته، ولو ساعة واحدة، فإن ذلك لاشك يؤثر في دينك، وقلبك، وعبادتك؛ قولٌ لا يجاوز فعله، وفعلٌ لا يجاوز صدقه، وصدقٌ لا ينازع ربه، فجالسه بالحرمة، وانتظر الرحمة والبركة، واحذر لزوم الحجة عليك، وراع وقته، كيلا تلومه فتخسر، وانظر اليه بعين فضل الله عليه، وتخصيصه له، وكرامته إياه.

الباب الثالث والسبعون: الوصايا

قال الصادق عليه السلام: أفضل الوصايا واكرمها، ألا تنسى ربك، وتذكره دائماً ولا تعصيه، وتعبده قائماً وقاعداً، ولا تغتر بنعمته واشكره أبداً، ولا تخرج من تحت أستار عظمته وجلاله، فتضل وتقع في الهلاك والردى.

---

(١) الحج: ١٣.

(٢) في سوى (ط) زيادة: يسمع الكلام من الأصل، ويترك قائله كيف ما كان، قالت الحكماء خذ الحكمة ولو من أفواه المجانين!

وإن مسك البلاء والـضُر، واحرقتـك نـيران المحـن، فـاعلم ان بلايـاه محشوة بكراماته الأبدية، ومحنه مورثة رضاه وقربه، ولو بعد حين، فيا لهـا مـن نِعم لمن علم ووفق لذلك.

روي أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليـه وآلـه، أوصـني فقـال: لا تغضب قط، فإن فيه منازعة ربك، فقال زدني، فقال: إياك وما تعتذر منـه وإن صغر، فإن فيه الشرك الخفي، قال زدني، فقال: صل صـلاة مـودع، فـإن فيهـا الوصلة والقربى، فقـال زدني، فقـال صـلى الله عليـه وآلـه: اسـتحي مـن الله استحيائك من صالحي جيرانك، فإن فيها زيادة اليقين.

وقد جمع الله حقيقة ما يتواصى به المتواصون، من الأولين والآخرين، في خصلة واحدة وهي التقوى، بقوله عز وجل ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ**﴾[1]، وفيه جماع كل عبادة صالحة، وبـه وصـل من وصل إلى الدرجات العلى، والرتب القصوى، وبه عاش من عاش مـع الله بالحياة الطيبة والأنس الدائم، قال الله تعالى ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِـينَ فِي جَنَّـاتٍ وَنَهَـرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾[2].

الباب الرابع والسبعون: الصدق

قال الصادق عليه السلام: الصدق نور متشعـشع في عالمـه كالـشمس، يستضيء بها كل شيء بمعناه، من غير نقصان يقع على معناها.

والصادق حقاً هو الذي يُصدق كل كاذب، بحقيقـة صـدق مـا لديـه، وهو المعنى الذي لا يسع معه سواه، أو ضده، مثـل آدم عليـه الـسلام صـدق

(١) النساء: ١٣٠.

(٢) القمر: ٥٤-٥٥.

إبليس في كذبه، حين أقسم له كاذباً، لعدم ماهية الكذب في آدم عليه السلام، قال الله عز وجل ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[١].

ولأن إبليس كان أول من ابتدأ بالكذب، غير معهودٍ، وأظهره وهو غير مشروع، ولا يعرف عند أهل السموات والأرض ظاهراً وباطناً[٢]، فخسر هو بكذبه، على معنى لم ينتفع من صدق آدم عليه السلام؛ على بقاء الأبد، وأفاد آدم عليه السلام بتصديقه كذبه شهادة الله عز وجل بنفي عزمه عما يضاد عهده في الحقيقة، على معنى لم ينتقص من اصطفائه بكذبه شيئاً[٣].

فالصدق صفة الصادق، وحقيقة الصدق تقتضي تزكية الله لعبده، كما ذُكر عن صدق عيسى عليه السلام في القيامة، بسبب ما أشار إليه من صدقه، وهو مرآة للصادقين من رجال أمة محمد صلى الله عليه وآله، فقال الله عز وجل ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[٤].

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: الصدق سيف الله في أرضه وسمائه،

---

(١) طه: ١١٥.

(٢) في سوى (ط): ولأن إبليس أبدع شيئاً كان أول من أبدعه، وهو غير معهود ظاهراً وباطناً.

(٣) ظاهر النص ان الآية في مقام المدح لآدم عليه السلام، وإن له عهد مع الله تعالى ولم يكن له عزم على ما يضاد ذلك العهد، وهذا المعنى ذكره القشيري في لطائف الإشارات، ج٢، ٢٧٧. وهو خلاف ما تظهره روايات أهل البيت سلام الله عليهم، فعن الإمام محمد الباقر سلام الله عليه في قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ قال (عهدنا إليه في محمد والأئمة من بعده فترك ولم يكن له عزم أنهم هكذا، وإنما سمي أولو العزم لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته، وأجمع عزمهم على أن ذلك كذلك، والإقرار به) أصول الكافي، ج١، ص٢٧٢.

(٤) المائدة: ١١٩.

أينما هوى به يقد[١]. فإذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب، فانظر في قصد معناك، وعقد دعوتك بقسطاس الله عز وجل، كأنك في يوم القيامة، قال الله عز وجل ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾[٢]، فإذا اعتدل معناك بدعواك، ثبت لك الصدق.

وأدنى حد الصدق ألا يخالف اللسان القلب، ولا القلب اللسان، ومثل الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع روحه إن لم ينزع فما يصنع[٣]!

الباب الخامس والسبعون: التوكل

قال الصادق عليه السلام: التوكل كأس مختوم لا يفض ختامها ويشرب منها إلا المتوكلون، قال الله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٤]، وقال ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٥].

جُعل التوكل مفتاح الإيمان، والإيمان قفل التوكل، وحقيقة التوكل الإيثار، وأصل الإيثار تقديم الشيء بحقه، ولا ينفك المتوكل في توكله، من إثبات أحد الإيثارين، فإن آثر معلول التوكل وهو الكون حجب به، وإن آثر معلل علة التوكل وهو الباري سبحانه، بقي معه[٦].

فإن أردت أن تكون متوكلاً، لا متعللاً، فكبر على روحك خمس

---

(١) نسبه القشيري فيما بعد إلى ذو النون المصري، ينظر: القشيرية، ج١، ص١٨٩.

(٢) الأعراف: ٨.

(٣) الجملة س (ط).

(٤) ابراهيم: ١٢.

(٥) المائدة: ٢٣.

(٦) فإن آثر معللاً لا متوكلاً، حُجب به وإن آثر المعلِل المُتوكَل عليه وهو الباري سبحانه بقي معه (ف).

تكبيرات، وودع آمالك كلها وداع الموت للحياة.

وأدنى حد التوكل، ألا تسابق مقدورك بالهمة، ولا تطالع مقسومك، ولا تستشرف معدومك، فينتقض بأحدهما عقد إيمانك وانت لا تشعر[١].

وإذا أردت أن تقف على بعض شعار المتوكلين حقاً، فاعتصم بعروة هذه الحكاية، وهي أن بعض المتوكلين، قدم على بعض الأئمة عليهم السلام، فقال له سلام الله عليك اعطف علي بجواب مسألة في التوكل، والإمام كان يعرف الرجل بحُسن التوكل ونفيس الورع، وأشرف على صدقه فيما عنه سأل، من قبل ابتدائه إياه.

فقال له: أوطِ مكانك وانظرني ساعة، ففعل، فبينا الإمام مطرق لجوابه، إذا اجتاز فقير بهما، فأدخل الإمام عليه السلام يده في جيبه وأخرج شيئاً ناوله الفقير، ثم أقبل على السائل فقال له هات سل عما بدالك.

فقال السائل أيها الإمام كنت أعرفك قادراً متمكناً من جواب مسألتي، قبل أن تستنظرني، فما شأنك في إبطائك الجواب عني، فقال الإمام لتعتبر المعنى مني قبل كلامي، إذ لم أكن أراني ساهياً عن سري، وربي مطلع عليه، أن أتكلم بعلم التوكل وفي جيبي دانق، ثم لم يحل لي ذلك إلا بعد إيتائه، فاعلم بذلك وافهم، فشهق السائل شهقة وحلف ألا يأوي عمراناً ولا يأنس ببشرٍ ما عاش.

الباب السادس والسبعون: الإخلاص

قال الصادق عليه السلام: الإخلاص مجمع فواضل[٢] الأعمال، وهو معنىً مفتاحه القبول، وتوقيعه الرضا، فمن تقبل الله منه، ورضي عنه، فهو

---

(١) الفقرة س (ط، ع).

(٢) حواصل (ط، ع، د)

المخلص، وإن قل عمله، ومن لم يتقبل الله منه فليس بمخلص، وإن كثر عمله[١].

وعلامة القبول، وجود الاستقامة ببذل كل المحاب، مع إصابة علم كل حركة وسكون، والمخلص ذائب روحه، وباذل مهجته، في تقويم ما به العلم والعمل، لأنه إذا كان أدرك ذلك، فقد أدرك الكل، وإذا فاته ذلك، فاته الكل.

وهو تصفية معادن التنزيه في التوحيد، كما قال الإمام الأول[٢] عليه الصلاة والسلام: هلك العاملون إلا العابدون، وهلك العابدون إلا العالمون، وهلك العالمون إلا الصادقون، وهلك الصادقون إلا المخلصون، وهلك المخلصون إلا المتقون، وهلك المتقون إلا الموقنون، وإن الموقنين لعلى خطرٍ عظيم[٣].

---

(١) في سوى (ط، ع) زيادة: اعتباراً بآدم عليه السلام وإبليس.
عن الامام جعفر الصادق سلام الله عليه، عن آبائه عليهم السلام، ان النبي صلى الله عليه وآله قال: (من أطاع الله، فقد ذكر الله، وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن، ومن عصى الله، فقد نسي الله، وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن). العاملي، وسائل الشيعة، باب جهاد النفس، ط١، بيروت، ٢٠٠٣، ص٧٨.

(٢) وهو أمير المؤمنين علي بن ابي طالب سلام الله عليه، والأول صفة له ذكرها في إحدى خطبه صلوات الله عليه (أنا الأول أنا الآخر، أنا الظاهر أنا الباطن ... الخ) الحافظ رجب البرسي، مشارق أنوار اليقين، ط٢، بيروت، ١٤٢٧، ص٢٦٥.

(٣) قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب سلام الله عليه (الدنيا كلّها جهل إلاّ مواضع العلم، والعلم كلّه حجّة إلاّ ما عمل به، والعمل كلّه رياء إلاّ ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر عظيم حتّى ينظر العبد بما يختم به). الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٢٥٣. وفي الحُلية للأصفهاني ج١٠، ص١٩٤، نسبه لسهل بن عبد الله!

وعن الإمام الحسن العسكري سلام الله عليه، قال الإمام علي السجاد سلام الله عليه (إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت في منطقه، وتخاضع في حركاته، فرويداً لا يغرنكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا، وركوب المحارم منها لضعف بنيته، ومهانته وجبن قلبه، فنصب الدين فخاً لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره، فإن تمكن من حرام أقتحمه.

فإذا وجدتموه يعف من المال الحرام، فرويداً لا يغرنكم، فإن شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثر، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتي منها محرماً.

فإذا وجدتموه يعف عن ذلك، فرويداً لا يغرنكم، حتى تنظروا ما عقدة عقله، فما أكثر من يترك ذلك أجمع، ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده بجهله، أكثر مما يصلحه بعقله وجده.

فإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرنكم، حتى تنظروا أمع هواه يكون على عقله، أو يكون مع عقله على هواه، وكيف محبته للرئاسات الباطلة وزهده فيها.

فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة، يترك الدنيا للدنيا، ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة، أفضل من لذة الأموال والنعم المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة، حتى إذا قيل له ﴿اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ البقرة: ٢٠٦. فهو يخبط خبط عشواء، يقوده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمده ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، فهو يحل ما حرم الله، ويحرم ما أحل الله، لا يبالي ما فات من دينه، إذا سلمت له الرئاسة التي قد شقي من أجلها، فأولئك مع الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً مهينا.

لكن الرجل كل الرجل نعم الرجل، هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة في رضاء الله تعالى، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الأبد من العز في الباطل). تفسير الامام العسكري سلام الله عليه، ص٥٥ .

قال الله تعالى ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[١].

وأدنى حد الإخلاص بذل العبد طاقته، ثم لا يجعل لعمله عند الله قدراً، فيوجب به على ربه مكافأة بعمله، لعلمه انه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز، وأدنى مقام المخلصين في الدنيا، السلامة من جميع الآثام، وفي الآخرة، النجاة من النار والفوز بالجنة.

الباب السابع والسبعون: معرفة الجهل

قال الصادق عليه السلام: الجهل صورة[٢] إقبالها ظلمة، وإدبارها نور، والعبد متقلب معها كتقلب الظل مع الشمس.

ألا ترى إلى الانسان تارة تجده جاهلاً بخصال نفسه، حامداً لها، وتارة عارفاً بعيبها ذاماً لها[٣]، وهو متقلب بين العصمة والخذلان، فإن قابلته العصمة أصاب، وإن قابله الخذلان أخطأ.

ومفتاح الجهل الرضى به والاعتقاد له، ومفتاح العلم الاستدلال مع إصابة موافقة التوفيق، وأدنى صفة الجاهل، دعواه العلم بلا استحقاق، وأوسطه جهله بالجهل[٤]، وأقصاه جحوده العلم.

والجاهل لا يفلح أبداً، ولا ينجو من عذاب الله إلا بخروجه من الجهل

---

(١) الحجر: ٩٩. والآية س (ط، ع).

(٢) في سوى (ط) صورة رُكبت في بني آدم.

(٣) في سوى (ف) عارفاً بعيبها في غيره، ساخطاً لها، وتارة تجده عالماً بطباعه، ساخطاً لها، حامداً لها في غيره.

(٤) أي الجهل المركب، وهو جهل الإنسان بأنه جاهل، ويجزم بما لا يطابق الواقع. ينظر: نصير الدين الطوسي، شرح الإشارات والتنبيهات، ط١، قم، ١٣٧٥، ج١، ص١٣.

ودخوله في طلب العلم، والجهل باب كل معصية، والجاهل مخطئ وإن أصاب، فتعوذ بالله من الجهل، وليس شيء أضر على ابن آدم من ثلاثة أشياء، وهو متبرئ منها ذام لها ماقتٌ لمن تبعها، وهو واقع فيها على الحقيقة؛ وهي الجهل والدنيا والحرص، فالكل منها كواحد، والواحد منها كالكل[1].

الباب الثامن والسبعون: تبجيل الإخوان

قال الصادق عليه السلام: مصافحة إخوان الدين أصلها من محبة الله لهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما تصافح إخوان في الله إلا تناثرت ذنوبهما، حتى يعودا كيوم ولدتهما أمهما، ولا كثر حبهما وتبجيلهما كل واحد لصاحبه، إلا كان له مزيد من الخير.

والواجب على أعلمهما بدين الله أن يزيد صاحبه من فنون الفوائد التي أكرمه الله بها، ويرشده إلى الاستقامة والرضا، والقناعة، ويبشره برحمة الله، ويخوفه من عذابه في الآخرة، وعلى الآخر أن يتبارك باهتدائه ويتمسك بما يدعوه اليه، ويعظه به، ويستدل، بما هداه إليه، معتصماً بالله ومستعيناً به، لتوفيقه على ذلك.

قيل لعيسى بن مريم عليه السلام، كيف أصبحت قال: لا أملك لنفسي ما أرجو، ولا أستطيع دفع ما أخاف، مأموراً بالطاعة، منهياً عن المعصية، فلا أرى فقيراً أفقر مني إلى الله عز وجل. وقيل لأويس القرني، كيف أصبحت يا أُويس، قال كيف يصبح رجل إذا أصبح لا يدري أيمسي، وإذا أمسى لا

---

(١) الفقرة في سوى (ط): وليس شيء إثباته حقيقة نفيه، إلا الجهل والدنيا والحرص، فالكل منهم كواحد، والواحد منهم كالكل.

يدري أيصبح! وقيل لأبي الدرداء كيف أصبحت، قال أصبحت أشكر ربي، وأشكو نفسي.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: من أصبح وهمته غير الله، فقد أصبح من الخاسرين المعتدين.

الباب التاسع والسبعون: التوبة

قال الصادق عليه السلام: التوبة حبل الله ومدد عنايته، ولا بد للعبد من مداومة التوبة على كل حال، والتوبة من شعار الأنبياء والصالحين والمؤمنين.

وكل فرقة من العباد لهم توبة، فتوبة الأنبياء من اضطراب السر، وتوبة الأصفياء من التنفيس، وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات، وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله، وتوبة العام من الذنوب. ولكل واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته ومنتهى أمره، وذلك يطول شرحه ههنا.

وأما توبة العام فبأن يغسل باطنه بماء الحسرة على ما فرط في الدنيا، والاعتراف بالجناية دائماً، واعتقاد الندم على ما مضى، والخوف على ما بقي من عمره، ولا يستصغر ذنوبه فيحمله ذلك على الكسل، ويديم البكاء والأسف على ما فاته من طاعة الله، ويحبس نفسه عن الشهوات، ويستغيث إلى الله تعالى ليحفظه على وفاء توبته، ويعصمه عن العود إلى ما سلف.

ويروض نفسه في ميدان الجهد والعبادة، ويقضي عن الفوائت من الفرائض، ويرد المظالم، ويعتزل قرناء السوء، ويسهر ليله، ويظمأ نهاره، ويتفكر دائماً في عاقبته.

ويستعين بالله سائلاً منه الاستقامة، في سرائه وضرائه، ويثبت عند المحن والبلاء، كيلا يسقط عن درجة التوابين، فإن في ذلك طهارة من ذنوبه،

وزيادة في علمه، ورفعة في درجاته[١]. قال الله عز وجل ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[٢].

الباب الثمانون: الجهاد والرياضة

قال الصادق عليه السلام: طوبى لعبد جاهد نفسه وهواه، في طاعة الله، ومن هزم جند نفسه، ظفر برضى الله[٣]، ومن جاوز عقبة نفسه الأمارة

---

(١) قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب سلام الله عليه (التوبة أسم واقع على ستة أقسام، أولها الندم على ما مضى من الذنوب، والثاني العزم على ترك العود اليه أبداً، والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم، وترد المظالم التي بينك وبينهم، حتى تلقى الله عز وجل أملس ليس عليك تبعة، والرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها، فتؤدي حقها، والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت والحرام والمعاصي فتذيبه بالأحزان، حتى يلصق الجلد بالعظم، وينشأ فيما بينهما لحماً جديداً، والسادس أن تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في معصية الله، وأن تذيق الجسم ألم الطاعة، كما أذقته حلاوة المعصية) تمام نهج البلاغة، ص٢٨٢.

(٢) العنكبوت: ٣.

(٣) قال المجلسي (وجدت بخط شيخنا البهائي قدس الله روحه ما هذا لفظه: قال الشيخ شمس الدين محمد بن مكي: نقلت من خط الشيخ أحمد الفراهاني رحمه الله، عن عنوان البصري - وكان شيخا كبيرا قد أتى عليه أربع وتسعون سنة - قال: كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين، فلما قدم جعفر الصادق (عليه السلام) المدينة اختلفت إليه، وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك، فقال لي يوما: إني رجل مطلوب ومع ذلك لي أوراد في كل ساعة من آناء الليل والنهار، فلا تشغلني عن وردي، وخذ عن مالك، واختلف إليه كما كنت تختلف إليه، فاغتممت من ذلك، وخرجت من عنده وقلت في نفسي:

لو تفرس في خيرا لما زجرني عن الاختلاف إليه والاخذ عنه، فدخلت مسجد الرسول

(صلى الله عليه وآله) وسلمت عليه، ثم رجعت من الغد إلى الروضة وصليت فيها ركعتين، وقلت:

أسألك يا الله يا الله أن تعطف علي قلب جعفر وترزقني من علمه ما أهتدي به إلى صراطك المستقيم، ورجعت إلى داري مغتما ولم أختلف إلى مالك بن أنس لما أشرب قلبي من حب جعفر، فما خرجت من داري إلا إلى الصلاة المكتوبة حتى عيل صبري، فلما ضاق صدري تنعلت وترديت وقصدت جعفرا وكان بعد ما صليت العصر، فلما حضرت باب داره استأذنت عليه فخرج خادم له فقال: ما حاجتك؟ فقلت: السلام على الشريف فقال: هو قائم في مصلاه، فجلست بحذاء بابه فما لبثت إلا يسيرا إذ خرج خادم فقال:

ادخل على بركة الله، فدخلت وسلمت عليه، فرد السلام وقال: اجلس غفر الله لك، فجلست فأطرق مليا، ثم رفع رأسه، وقال: أبو من؟ قلت أبو عبد الله، قال: ثبت الله كنيتك ووفقك، يا أبا عبد الله ما مسألتك؟ فقلت في نفسي: لو لم يكن لي من زيارته والتسليم غير هذا الدعاء لكان كثيرا، ثم رفع رأسه، ثم قال: ما مسألتك؟ فقلت: سألت الله أن يعطف قلبك علي ويرزقني من علمك، وأرجو أن الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته.

فقال: يا أبا عبد الله ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولا في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك. قلت: يا شريف فقال: قل يا أبا عبد الله، قلت: يا أبا عبد الله ما حقيقة العبودية؟

قال: ثلاثة أشياء: ألا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكا، لان العبيد لا يكون لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به، ولا يدبر العبد لنفسه تدبيرا، وجملة اشتغاله فيما أمره تعالى به ونهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله تعالى ملكا هان عليه الانفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه، وإذا فوض العبد تدبير نفسه على مدبره

بالسوء، وساسها بالجهد والاستكانة والخضوع على بساط خدمة الله تعالى، فقد فاز فوزاً عظيماً.

ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد وبين الله تعالى، من النفس والهوى،

هان عليه مصائب الدنيا، وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه لا يتفرغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس، فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا، وإبليس، والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثرا وتفاخرا، ولا يطلب ما عند الناس عزا وعلوا، ولا يدع أيامه باطلا، فهذا أول درجة التقى، قال الله تبارك وتعالى: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين.

قلت: يا أبا عبد الله أوصني، قال: أوصيك بتسعة أشياء فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى، والله أسأل أن يوفقك لاستعماله، ثلاثة منها في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم، فاحفظها وإياك والتهاون بها، قال عنوان: ففرغت قلبي له.

فقال: أما اللواتي في الرياضة: فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه فإنه يورث الحماقة والبله، ولا تأكل إلا عند الجوع، وإذا أكلت فكل حلالا وسم الله، واذكر حديث الرسول (صلى الله عليه وآله): ما ملا آدمي وعاء شرا من بطنه فإن كان ولابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه.

وأما اللواتي في الحلم: فمن قال لك: إن قلت واحدة سمعت عشرا فقل: إن قلت عشرا لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل له: إن كنت صادقا فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي، وإن كنت كاذبا فيما تقول فالله أسأل أن يغفر لك، ومن وعدك بالخنى فعده بالنصيحة والرعاء.

وأما اللواتي في العلم: فاسأل العلماء ما جهلت، وإياك أن تسألهم تعنتا وتجربة وإياك أن تعمل برأيك شيئا، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلا، واهرب من الفتيا هربك من الأسد، ولا تجعل رقبتك للناس جسرا. قم عني يا أبا عبد الله فقد نصحت لك ولا تفسد علي وردي، فإني امرء ضنين بنفسي، والسلام على من اتبع الهدى) بحار الأنوار، ج١، ص٢٢٤.

وليس لقتلها وقطعها، سلاح وآلة إلا الافتقار إلى الله والخشوع والجوع والظمأ بالنهار والسهر بالليل، فإن مات صاحبه مات شهيداً، وإن عاش استقام إلى وقتٍ ما أداه عاقبة ذلك إلا إلى الرضوان الأكبر[١]. قال الله عز وجل ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٢].

وإذا رأيت مجتهداً أبلغ منك في اجتهاده، فوبخ نفسك ولُمها وعيرها، تحثيثاً على الازدياد عليه، واجعل لها زماماً من الأمر، وعناناً من النهي، وسقها كالرائض للفاره[٣]، الذي لا تذهب عليه خطوة منها، إلا وقد صحح أولها وآخرها.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي حتى تتورم قدماه، ويقول أفلا أكون عبداً شكوراً، وأراد أن تعتبر به أمته[٤]!

فلا تغفلوا عن الاجتهاد والتعبد والرياضة في كل حال، ألا وإنك لو وجدت حلاوة عبادة الله، ورأيت بركاتها، واستضأت بنورها، لم تصبر عنها ساعة واحدة، ولو قُطعت إرباً إرباً.

فما أعرض من أعرض عنها إلا بحرمان فوائد العصمة والتوفيق، قيل لربيع بن خثيم ما لك لا تنام الليل، قال لأني أخاف البيات[٥].

---

(١) في سوى (ط) وإن عاش استقام أمره، وعاقبته إلى الرضوان الأكبر.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) الفاره، الدابة النشطة الحادة القوية، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٩٢.

(٤) لا يخفى بأن طاعة المعصوم سلام الله عليه ليس هدفها اعتبار الأمة، بل هي خضوع حقيقي لله تعالى، لأن معرفة المعصوم بالله تامة، فعبادته تامة.

(٥) قال أمير المؤمنين علي سلام الله عليه (لا تأمن البيات، وقد عملت السيئات) أصول الكافي، ج٢، ص٢٧٣. ينظر أيضاً: الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ط١، بيروت، ١٩٨٠، ج٢، ص٤٤٨.

الباب الحادي والثمانون: الفساد

قال الصادق عليه السلام: فساد الظاهر من فساد الباطن، ومن أصلح سريرته، أصلح الله علانيته، ومن خان الله في السر، هتكه الله في العلانية[١]، وأعظم الفساد أن يرضى العبد الغفلة عن الله.

وهذا الفساد يتولد من طول الأمل والحرص والكِبر، كما أخبر الله عز وجل في قصة قارون في قوله ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٢].

وكانت هذه الخصال من صنع قارون واعتقاده[٣]، وأصلها من حب الدنيا وجمعها، ومتابعة النفس في هواها، والإقامة على شهواتها، وحب المحمدة، وموافقة الشيطان، واتباع خطواته.

وكل ذلك يجتمع تحت الغفلة عن الله، ونسيان منته، وعلاج ذلك الفرار من الناس، ورفض الدنيا، وطلاق الراحة، وقطع العادات، وقلع عروق منابت الشهوات بدوام الذكر لله، ولزوم الطاعة، واحتمال جفاء الخلق، وملامة القربى، وشماتة العدو من الأهل والقرابة.

فإذا فعلت ذلك فقد فتحت عليك باب عطف الله، وحسن نظره اليك، بالمغفرة والرحمة، وخرجت من جملة الغافلين، وفككت قلبك من أسر الشيطان، وقدِمت باب الله في معشر الواردين اليه، وسلكت مسلكاً رجوت الإذن بالدخول على الملك الكريم الجواد الرحيم، واستيطاء بساطه على شرط

(١) نُسب هذا القول فيما بعد إلى يحيى بن معاذ (٢٥٨هـ)، ينظر: ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج٢، ص٢٩٧.

(٢) القصص: ٧٧.

(٣) الجملة س (ط).

الإذن، ومن وطئ بساط الملك على شرط الإذن لا يحرم سلامته وكرامته، لأنه الملك الكريم الجواد الرحيم.

الباب الثاني والثمانون: التقوى

قال الصادق عليه السلام: التقوى على ثلاثة أوجه: تقوى في الله، وهي ترك الحلال فضلاً عن الشبهة، وهو تقوى خاص الخواص. وتقوى من الله، وهو ترك الشبهات، فضلاً عن الحرام، وهو تقوى الخاص، وتقوى من خوف النار والعقاب، وهو ترك الحرام، وهو تقوى العام.

ومثل التقوى، كماء يجري في نهر، ومثل الطبقات الثلاث في معنى التقوى، كأشجار مغروسة على حافة ذلك النهر من كل لون، وكل شجرة منها، تمتص الماء من ذلك النهر، على قدر جوهره وطعمه ولطافته وكثافته[1].

ثم منافع الخلق من الأشجار والثمار، على قدرها وقيمتها، قال الله عز وجل ﴿**صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ**﴾[2].

فالتقوى للطاعات، كالماء للأشجار، ومثل طبائع الأشجار والثمار في لونها وطعمها، مثل مقادير الإيمان، فمن كان أعلى درجة في الإيمان، وأصفى جوهراً بالروح، كان أتقى، ومن كان أتقى، كانت عبادته أخلص وأطهر، ومن كان كذلك، كان من الله أقرب.

---

(١) قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه (واعلم أن لكل عمل نباتاً، وكل نبات لا غنى له عن الماء، والمياه مختلفة، فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته، وما خبث سقيه خبث غرسه، وأمرت ثمرته) نهج البلاغة، ص٢١٦.

(٢) الرعد: ٤.

وكل عبادة غير مؤسسة على التقوى، فهي هباء منثور، قال الله عز وجل ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ**﴾[١]، الآية. وتفسير التقوى، ترك ما ليس بأخذه بأس حذراً عما به البأس[٢]. وهو في الحقيقة طاعة بلا معصية، وذكر بلا نسيان، وعلم بلا جهل، مقبول غير مردود.

الباب الثالث والثمانون: الموت

قال الصادق عليه السلام: ذكر الموت يميت الشهوات في النفس، ويقلع منابت الغفلة، ويقوي القلب بمواعيد الله تعالى، ويُرق الطبع، ويكسر أعلام الهوى، ويطفئ نار الحرص، ويُحقر الدنيا، وهو معنى ما قال النبي صلى الله عليه وآله: تفكر ساعة خير من عبادة سنة.

وذلك عندما تحل أطناب[٣] خيام الدنيا، وتشدها في الآخرة، ولا شك بنزول الرحمة على ذاكر الموت بهذه الصفة، ومن لم يعتبر بالموت، وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر، وتحيره في القيامة؛ فلا خير فيه. قال النبي صلى الله عليه وآله: اذكر هادم اللذات، قيل وما هو يا رسول الله، قال الموت الموت.

فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه، ولا في شدة إلا اتسعت

---

(١) التوبة: ١٠٩.

(٢) قال رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين، حتى يدع مالا بأس به، حذراً لما به البأس) تحف العقول، ص٦٠.

(٣) والأطناب جمع طُنُب، وهو وتد الحبل الذي يشد الخيمة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٦٤٧.

عليه، والموت أول منزل من منازل الآخرة، وآخر منزل من منازل الدنيا، فطوبى لمن أُكرم عند النزول بأولها، وطوبى لمن أُحسن مشايعته في آخرها.

والموت أقرب الأشياء من ولد آدم، وهو يعده بعيداً، فما أجرأ الإنسان على نفسه، وما أضعفه من خلق! وفي الموت نجاة المخلصين، وهلاك المجرمين، ولذلك اشتاق من اشتاق إلى الموت، وكرهه من كرهه. قال النبي صلى الله عليه وآله: من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه.

الباب الرابع والثمانون: الحساب

قال الصادق عليه السلام: لو لم يكن للحساب مهولة، إلا حياء العرض على الله عز وجل، وفضيحة هتك الستر على المخفيات، لحق للمرء ألا يهبط من رؤوس الجبال، ولا يأوي إلى عِمران، ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام، إلا عن اضطرار متصل بالتلف.

ومثل ذلك يفعل من يرى القيامة بأهوالها وشدائدها، قائمة في كل نفس، ويعاين بالقلب، الوقوف بين يدي الجبار، حينئذ إذا علم وأيقن وفكر في عاقبته فأحسن، يأخذ نفسه بالمحاسبة، كأنه في غمراتها مسؤول، والى عرصاتها مدعو، قال الله تعالى ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[1].

وقال عليه السلام[2]: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزِنوا أنفسكم قبل أن توزنوا. وقال أبو ذر رضي الله عنه: ذكر الجنة موت، وذكر النار موت،

(١) الانبياء: ٤٧.

(٢) وقال بعض الحكماء (ط). وعليها تصحيح: وقال عمر بن الخطاب! ثم استقر هذا التصحيح في المخطوط الاسماعيلي! وهذه من علامات التلاعب والدس بالكتاب! إذ القول للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه، ينظر: نهج البلاغة، ص١٢٣.

فواعجباً لنفس تحيى بين موتين.

وروي عن يحيى بن زكريا عليه السلام، كان يفكر في طول الليل في الجنة والنار، فيسهر ليلته، ولا يأخذه النوم، ثم يقول عند الصباح، اللهم أين المفر وأين المستقر، اللهم إليك.

الباب الخامس والثمانون: حُسن الظن

قال الصادق عليه السلام: حُسن الظن أصله من حُسن إيمان المرء وسلامة صدره، وعلامة المؤمن الصالح أن يرى كل ما نظر إليه بعين الطهارة والفضل[١].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أحسنوا ظنونكم بإخوانكم ترون العجائب من البركات في أنفسكم وأموالكم، وتغنمون بحسن الظن صفاء القلب، ونقاوة الطبع.

وقال أُبي بن كعب[٢]، إذا رأيتم أحد إخوانكم وفيه خصلة تستنكرونها

---

(١) في سوى (ط، ف) زيادة: من حيث ركب فيه وقذف في قلبه من الحياء والأمانة والصيانة والصدق.

(٢) س (ط). وأُبي بن كعب بن قيس الخزرجي (ت ٣٠هـ) من أهل يثرب، ومن أوائل الأنصار، وكان له موقف مشرف بعد السقيفة، تمثل بخطبة عظيمة في مجلس الغاصبين، يذكر فيها فضائل أمير المؤمنين علي سلام الله عليه، حتى قام اليه ابن عوف وابن الجراح ومعاذ بن جبل، فقالوا له يا أُبي أصابك خبل أم فيك جِنة، فقال بل الخبل فيكم، ثم ذكر وصية النبي صلى الله عليه وآله، له ومنها (يا أُبي عليك بعلي، فإنه الهادي المهدي، الناصح لأمتي، المحيي لسنتي، وهو إمامكم بعدي، فمن رضي بذلك لقيني على ما فارقته عليه، يا أُبي ومن غير أو بدل لقيني ناكثاً لبيعتي، عاصياً أمري، جاحداً لنبوتي، لا أشفع له عند ربي، ولا أسقيه من حوضي) الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ١٣٨.

منه، فتأولوها سبعين تأويلاً، فإن اطمأنت قلوبكم على أحدها، وإلا فعودوا باللوم على أنفسكم حيث لم تعذروه في خصلة يسترها عليه سبعون تأويلاً، فأنتم أولى بالإنكار على أنفسكم منه! قال الله عز وجل ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِ إِثْمٌ﴾[1].

أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام: ذكر عبادي آلائي ونعمائي، فإنهم لم يروا مني إلا الحسن الجميل، لئلا يظنوا في الباقي إلا مثل الذي سلف مني إليهم. وحُسن الظن يدعو إلى حُسن العبادة، والمغرور يتمادى في المعصية، ويتمنى المغفرة، ولا يكون مُحسن الظن في خلق الله، إلا المطيع له على الحقيقة، يرجو ثوابه، ويخاف عقابه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله، حاكياً عن ربه تعالى: أنا عند حُسن ظن عبدي بي، يا محمد فمن زاغ عن وفاء حقيقة موجبات ظنه بربه، فقد أعظم الحجة على نفسه، وكان من المخدوعين في أسر هواه.

الباب السادس والثمانون: التفويض

قال الصادق عليه السلام: المفوض أمره إلى الله تعالى في راحة الأبد، والعيش الدائم الرغِد، والمفوض حقاً هو الفاني عن كل همة دون الله، وهو الذي ينقطع عن كل شيء سوى الله ويقبل على طاعته ويتحقق عنده ألا بد له من رزق كما لابد له من موت[2].

كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

---

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) الجملة س في سوى (ط).

رضيت بما قسم الله لي ... وفوضت أمري إلى خالقي
كما أحسن الله فيما مضى ... كذلك يُحسن فيما بقي[١]

وكما حكى الله عز وجل عن مؤمن آل فرعون ﴿**أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ**﴾[٢].

والمفوض أمره إلى الله قد أقبل على طاعته، فتخلص من كل هم سوى الله؛ يوفقه الله لكل خير ويكفيه كل ما يخاف[٣].

والتفويض خمسة أحرف، لكل حرف منها حكم، فمن أتى بأحكامه فقد أتى به، التاء من ترك التدبير للدنيا، والفاء من فناء كل همة غير الله، والواو من وفاء العهد وتصديق الوعد والوعيد، والياء من اليأس من نقاء[٤] نفسك، واليقين بربك، والضاد من الضمير الصافي في الله والضرورة إليه. والمفوض لا يصبح إلا سالماً من جميع الآفات، ولا يمسي إلا معافىً في دينه.

الباب السابع والثمانون: اليقين

قال الصادق عليه السلام: اليقين يوصل العبد إلى كل حال سَني، ومقام عجيب، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله، حاكياً عن عِظم شأن

---

(١) نسبته مشهورة لأمير المؤمنين علي صلوات الله عليه، ينظر: عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، تحقيق: وليد بن أحمد وآخرون، ط١، لندن، ١٤٢٩، ج٢، ص٩٣. ونسبه آخرون إلى ابراهيم النحوي (٣٢٣هـ)، ينظر: البيهقي، شعب الإيمان، ج٢، ص١١٢. فيما نسبه آخرون إلى منصور الفقيه (٣٠٦هـ)، ينظر: ابو العباس التادلي، الحماسة المغربية، تحقيق: محمد الدايه، ط١، بيروت، ١٩٩١، ج٢، ص١٢٥١.

(٢) غافر: ٤٤-٤٥.

(٣) الفقرة س في سوى (ط).

(٤) س من سوى (ط).

اليقين حين ذُكر عنده عيسى بن مريم عليه السلام، أنه كان يمشي على الماء، فقال لو زاد يقينه لمشى في الهواء.

يدل هذا أن ترتيب الأنبياء عليهم السلام، مع جلالة محلهم من الله، كان يتفاضل على حقيقة اليقين لا غير[١]، ولا نهاية بزيادة اليقين على الأبد، والمؤمنون أيضاً يتفاوتون في قوة اليقين وضعفه.

فمن قوي منهم يقينه كان أفضل، وعلامته التبري من الحول والقوة إلا بالله، والاستقامة على أمر الله والعبادة ظاهراً وباطناً لله، قد استوت عنده حالتا العدم والوجود، والفقر والغنى، والزيادة والنقصان، والمدح والذم، والعز والذل، لأنه يرى كلها من عين واحدة.

ومن ضعف يقينه، تعلق بالأسباب، ورخص لنفسه بذلك، واتبع العادات وأقاويل الناس بغير بينة ولا حقيقة، والسعي في أمور الدنيا، وجمعها وامساكها وبخله بها.

مقراً باللسان انه لا مانع ولا معطي إلا الله، وإن العبد لا يصيب إلا ما رزق وقسم له، والجهد لا يزيد في الرزق، وينكر ذلك بفعله وقلبه، قال الله عز وجل ﴿**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**﴾[٢].

---

(١) قال الإمام الصادق سلام الله عليه (يا مفضل والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه، إلا بولاية علي عليه السلام، وما كلم الله موسى تكليما، إلا بولاية علي عليه السلام، ولا أقام الله عيسى بن مريم آية للعالمين، إلا بالخضوع لعلي عليه السلام، ثم قال: أجمل الأمر، ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية لنا) الشيخ المفيد، الاختصاص، تحقيق: علي غفاري، ط١، طهران، ١٤١٣، ص٢٥٠. فاليقين الذي تتفاضل به الأنبياء، هو اليقين بولاية أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه.

(٢) آل عمران: ١٦٧. والفقرة س (ط).

إنما عطف الله على عباده حيث أذن لهم في الكسب والحركات في باب العيش، ما لم يتعدوا حدوده، ولا يتركوا فرائضه وسنن نبيه صلى الله عليه وآله، ولا يبخلوا بما جمعوا على أوليائه، ولا يجعلوا سكونهم وحركاتهم كلها إلا في طاعة الله[١]، ولا يعدلوا عن محجة التوكل، ولا يقعوا في ميدان الحرص.

وأما إذا نسوا ذلك، وارتبطوا بخلاف ما حُد لهم، كانوا من الهالكين الذين ليس لهم في الحاصل إلا الدعاوى الكاذبة، وكل مكتسب لا يكون متيقناً متوكلاً فلا يستجلب من كسبه إلى نفسه إلا حراماً وشبهة، وكثرة حساب، وشدة عقاب، وأليم عذاب. وعلامة المكتسب المتقي لربه المتوكل عليه أن يؤثر ما يحصل من كسبه ويجوع، وينفق في سبيل الدين ولا يمسك.

والمأذون بالكسب، من كان بنفسه مكتسباً، وبقلبه متوكلاً[٢]، وإن كثر المال عنده قام فيه كالأمين، عالماً بأن كون ذلك المال عنده وفوته سواء، وإن أمسك، أمسك لله، وإن أنفق أنفق فيما أمره الله عز وجل، ويكون منعه وعطاؤه في الله عز وجل.

الباب الثامن والثمانون: الخوف والرجاء

قال الصادق عليه السلام: الخوف رقيب القلب، والرجاء شفيع النفس[٣]، ومن كان بالله أعرف، كان من الله أخوف[٤]، وإليه راجياً، وهما جناحا الإيمان،

(١) في سوى (ط): ولا يتركوا فرائضه وسنن نبيه صلى الله عليه وآله، في جميع حركاتهم.

(٢) بداية الفقرة س (ط).

(٣) نُسب فيما بعد إلى ذو النون المصري (٢٤٥هـ) ينظر: ابو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج٩، ص٩٠.

(٤) نُسب فيما بعد إلى احمد بن عاصم الأنطاكي (٢٣٠هـ)، ينظر: محمد المروزي، تعظيم قدر الصلاة، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، ط١، المدينة المنورة، ١٤٠٦، ج٢، ٧٢٨.

ويطير بهما العبد المحقق إلى رضوان الله تعالى، وعينا عقله يبصر بهما إلى وعد الله ووعيده.

والخوف طالع عدل الله بأهل وعيده، والرجاء داعي فضل الله، وهو يحي القلب، والخوف يميت النفس. قال النبي صلى الله عليه وآله: المؤمن بين خوفين، خوف ما مضى، وخوف ما بقي[١].

وبموت النفس حياة القلب، وحياة القلب البلوغ إلى الاستقامة وعفو الله ورضوانه، ومن عبد الله على ميزان الخوف والرجاء، لا يضل، ويصل إلى مأموله، وكيف لا يخاف العبد وهو لا يعلم بما يختم صحيفته[٢]، ولا له عمل يتوسل به استحقاقاً، ولا قدرة له على شيء ولا مفر، وكيف لا يرجو وهو يعرف نفسه بالعجز، وهو غريق في بحر آلاء الله ونعمائه، من حيث لا يحصى ما أنعم عليه ولا يعده.

والمحب لا يعبد ربه على الرجاء[٣]، بمشاهدة أحواله بعين منه، والزاهد يعبد ربه على الخوف، قال أويس لهرم بن حيان، قد عمل الناس على الرجاء تعال حتى نعمل على الخوف.

والخوف خوفان، ثابت وعارض، فالثابت من الخوف يورث الرجاء،

---

(١) قال الإمام الصادق سلام الله عليه (المؤمن بين مخافتين، ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فلا يصبح إلا خائفاً، ولا يصلحه إلا الخوف). أصول الكافي، ج٢، ص٧١.

(٢) قال الإمام الصادق سلام الله عليه (إن العبد يُصبح مؤمناً، ويمسي كافراً، ويصبح كافراً ويمسي مؤمناً، وقومٌ يعارون الإيمان ثم يسلبونه، ويسمون المُعارين) أصول الكافي، ج٢، ص٤١٧.

(٣) في سوى (ف) والمحب يعبد ربه على الرجاء!

والعارض منه، يورث خوفاً ثانياً، والرجاء رجاءان، عاكف وبادٍ، فالعاكف منه يقوي نسبة المحبة، والبادي منه يصحح الحياء.

الباب التاسع والثمانون: الرضا

قال الصادق عليه السلام: صفة الراضي أن يرضى المحبوب والمكروه، والرضى شعاع نور المعرفة، والراضي فانٍ عن جميع اختياره، والراضي حقيقة هو المرضي عنه، والرضى أسمٌ يجتمع فيه معاني العبودية، وتفسير الرضى سرور القلب.

سمعت أبي: محمد الباقر عليه السلام يقول: تعلق القلب بالموجود شرك، وبالمفقود كفر، وهما خارجان عن سنة الرضا.

وأعجب ممن يدعي العبودية لله عز وجل، كيف ينازعه في مقدوراته، حاشا الراضين العارفين عن ذلك[١].

الباب التسعون: البلاء

قال الصادق عليه السلام: البلاء زين المؤمن، وكرامة لمن عقل. لأن في مباشرته والصبر عليه، والثبات عنده، تصحيح نسبة الإيمان، قال النبي صلى الله عليه وآله: نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاءً، ومن بعدنا المؤمنون الأمثل فالأمثل[٢].

---

(١) الفقرة س (ط).

(٢) عن الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه، إن في كتاب أمير المؤمنين علي سلام الله عليه (إن أشد الناس بلاءً النبيون، ثم الوصيون، ثم الأمثل فالأمثل، وإنما يبتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة، فمن صح دينه وحسن عمله، أشتد بلاؤه، وذلك أن الله عز وجل لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن ولا عقوبة لكافر، ومن سخف دينه، وضعف عمله، قل بلاؤه، وإن البلاء أسرع إلى المؤمن التقي من المطر إلى قرار الأرض) أصول الكافي، ج٢، ص٢٨٢.

ومن ذاق طعم البلاء، تحت سر حفظ الله له، تلذذ بـه أكثـر مـن تلـذذه بالنعمة، واشتاق اليه إذا فقده، لأن تحت نيران الـبلاء والمحنـة أنـوار النعمـة، وتحت أنوار النعمة، نيران البلاء والمحنة، وقد ينجو من البلاء كثير، ويهلك في النعمة كثير، وما أثنى الله تعالى على عبد من عباده، من لدن آدم عليـه الـسلام إلى محمد صلى الله عليه وآله، إلا بعد ابتلائه ووفاء حق العبودية فيه.

فكرامات الله في الحقيقة لها أبواب ونهايـات، فأبوابهـا الـبلاء ونهاياتهـا البلاء، فمن صبر على البلاء في الدنيا وازداد في عبادته وشكره لله عنـد نزولهـا وهو راضٍ، انفتحت له أبواب الكرامات ووصل إلى نهاياتها[١].

ومن خرج مـن سـكة[٢] البلـوى، جُعـل سراجـاً للمـؤمنين، ومؤنـساً للمقربين، ودليلاً للقاصدين، ولا خير في عبد شكى مـن محنـة تقـدِمها ألـف نعمة، واتبعها ألف راحة.

ومن لا يؤدي حق الصبر في البلاء، يُحرم قضاء الشكر في النعماء، كذلك مـن لا يؤدي حق الشكر في النعماء، يحرم عن قضاء الصبر في البلاء، ومن حـرمهما فهـو من المطرودين، قال وهب، البلاء للمؤمن كالشكال للدابة، والعقال للإبل.

وقال أيوب عليه الـسلام، في دعائـه: اللهـم قـد أتـى عـليَ سـبعون في الرخاء، فأتِ عليَ سبعين في البلاء[٣].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: الصبر مـن الإيـمان كـالرأس مـن الجسد. ورأس الصبر البلاء، وما يعقلها إلا العالمون.

---

(١) في سوى (ط): فكرامات الله في الحقيقة، نهاياتٌ بداياتها البلاء، وبداياتٌ نهاياتها البلاء.

(٢) السكة: الطريق الضيق، ينظر: لسان العرب، ج٤، ص٦٢٩.

(٣) الفقرة س (ط).

الباب الحادي والتسعون: الصبر

قال الصادق عليه السلام: الصبر يُظهر ما في بواطن العباد من النور والصفاء، والجزع يظهر ما في بواطنهم من الظلمة والوحشة.

والصبر يدعيه كل أحد، ولا يثبت عنده إلا المخبتون، والجزع ينكره كل أحد، وهو أبين على المنافقين، لأن نزول المحنة والمصيبة، يُخبر عن الصادق والكاذب. وتفسير الصبر ما يُسْتَمرَأُ مذاقه، وما كان عن اضطرار لا يسمى صبراً، وتفسير الجزع اضطراب القلب وتحريك الشخص، وتغير اللون، وتغير الحال.

وكل نازلة خلت أوائلها من الإخبات والإنابة والتضرع إلى الله تعالى، فصاحبها جزوع غير صابر، والصبر ما أوله مرٌ وآخره حلوٌ لقومٍ، ولقوم أوله وآخره حلو، فمن دخله من أواخره فقد دخل، ومن دخله من أوائله فقد خرج.

ومن عرف قدر الصبر، لا يصبر عما منه الصبر، قال الله عز وجل، في قصة موسى والخضر عليهما السلام ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾[١].

فمن صبر كُرهاً، ولم يشكو إلى الخلق، ولم يجزع بهتك ستره، فهو من العام، ونصيبه مما قال الله عز وجل ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٢]، أي بالجنة والمغفرة، ومن استقبل البلاء بالرحب، وصبر على سكينة ووقار، فهو من الخاص، ونصيبه ما قال الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٣].

(١) الكهف: ٦٨.

(٢) البقرة: ١٥٥.

(٣) البقرة: ١٥٣.

الباب الثاني والتسعون: الحزن

قال الامام الصادق عليه السلام: الحزن من شعار العارفين، لكثرة واردات الغيب على سرائرهم وطول مباهاتهم تحت ستر الكبرياء[١].

والمحزون ظاهره قبض، وباطنه بسط، يعيش مع الخلق عيش المرضى، ومع الله عيش القربى، والمحزون غير المتفكر، لأن المتفكر متكلف، والمحزون مطبوع، والحزن يبدأ من الباطن، والتفكر يبدأ من رؤية المحدثات، وبينهما فرق[٢].

قال الله عز وجل، في قصة يعقوب عليه السلام ﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٣]، وقيل لربيع بن خثيم، ما لك مهموم، قال:

---

(١) الجملة س (ط). قال الإمام زين العابدين سلام الله عليه في مناجاته (أللهُم اجْعلنا مِمن دأبهُم الإرتياحُ إليك والحنين، ودهرُهُم الزَفرةُ والأنين، جِباهُهُم ساجدةٌ لعظمتك، وعُيونهم ساهرةٌ في خدمتك، ودُموعهم سائلةٌ من خشيتك، وقلوبهم متعلقةٌ بمحبتك، وأفئدتهم منخلعةٌ من مهابتك) الصحيفة السجادية، ص١٨٣.

(٢) هذا النص يبين العلاقة بين الواردات الغيبية على سر العبد، ثم يبين طبيعة الحزن وأنه ليس أمراً يأتي عن تكلف كالتفكر مثلاً، وهو حال ممدوح للعبد، ولبعض المتصوفة كلام يبدو منه خلاف ذلك، إذ قال (إذا ورد الوارد على القلب فجأة من غير تصنع، فيعطيه ذلك الوارد حسرة فوت الوقت، فإنه منبه لمن غفل عن حكم وقته فيه، فلم يتأدب مع وارد وقته، أراد الحق أن ينبهه عناية منه به، فبعث إليه هذا الوارد رسولاً من الله يكشف له عن فوت وقته وأنه ممن أساء الأدب مع الله، فيندمه على ما كان منه من فوت الوقت، فيجبر له هذا الندم فضيلة ما فاته من وقته حتى يكون كأنه ما فاته شيء) ابن عربي، الفتوحات المكية، ج٢، ص٥٤٧. وتتمة الباب كفيلة بإثبات اختلاف الرؤية!

(٣) يوسف: ٨٦.

وفي سوى (ط) زيادة : فبسبب ما تحت الحزن علم خُص به من الله دون العالمين.

لأني مطلوب[١].

ويمين الحزن الانكسار، وشماله الصمت، والحزن يختص به العارفون لله، والتفكر يشترك فيه الخاص والعام، ولو حجب الحزن عن قلوب العارفين ساعة، لاستغاثوا، ولو وضع في قلوب غيرهم لاستنكروه.

فالحزن أولٌ ثانيه الأمن والبشارة، والتفكر ثانٍ أوله تصحيح الايمان بالله وثالثه الافتقار إلى الله عز وجل، بطلب النجاة، والحزين متفكر، والمتفكر معتبر، ولكل واحد منهما حال وطريق ومشرب.

الباب الثالث والتسعون: الحياء

قال الصادق عليه السلام: الحياء نور جوهره صدر الايمان، وتفسيره التثبت عند كل شيء ينكره التوحيد والمعرفة.

قال النبي صلى الله عليه وآله: الحياء من الايمان. فقيّد الحياء بالإيمان، والإيمان بالحياء، وصاحب الحياء خيرٌ كله، ومن حرم الحياء فهو شرٌ كله، وإن تَعبد وتَورع، فخطوة يتخطاها العبد في ساحات هيبة الله بالحياء منه والخضوع له خير من عبادة سبعين سنة.

والوقاحة صدر النفاق وصدر النفاق الكفر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا لم تستح فاعمل ما شئت[٢]. فمن فارق الحياء فكل ما عمل من

(١) نسبه ابن أبي الدنيا (٢٨١هـ) إلى بشر بن الحارث (٢٢٧هـ) المعروف ببشر الحافي، ينظر: كتاب الهم والحزن، تحقيق: مجدي السيد، القاهرة، ١٩٩١، ص٩٦.
وبشر الحافي ممن تاب على يد الإمام موسى بن جعفر الكاظم سلام الله عليه، وقصته مشهورة في ذلك، ينظر: العلامة الحلي، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، تحقيق: عبد الرسول مبارك، ط١، قم، ١٤٢٣، ص٥٩.

(٢) عن الإمام الرضا سلام الله عليه، عن آبائه سلام الله عليهم، أن رسول الله صلى الله

خير وشر، فهو به معاقب!

وقوة الحياء من الحزن والخوف، والحياء مسكن الخشية، فالحياء أوله الهيبة، وآخره الرؤية، وصاحب الحياء أبداً مشغول بشأنه، معتزل من الناس، مزدجر عما هم فيه، ولو تُرك صاحب الحياء ما جالس أحداً.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا أراد الله بعبد خيراً ألهاه عن محاسنه، وجعل مساويه بين عينيه، وكرهه مجالسة المعرضين عن ذكر الله. والحياء خمسة أنواع، حياء ذنب، وحياء تقصير، وحياء كرامة، وحياء حب، وحياء هيبة، ولكل واحد من ذلك أهلٌ، ولأهله مرتبة على حدة.

الباب الرابع والتسعون: الدعوى

قال الصادق عليه السلام: الدعوى بالحقيقة للأنبياء والأئمة عليهم السلام والصديقين، وأما دعوى المدعي بغير واجب، فهو كإبليس اللعين، ادعّى ما ليس له[1]، وهو على الحقيقة منازع لربه، مخالف لأمره.

فمن ادعّى أظهر الكذب، والكاذب لا يكون أميناً، ومن ادعى فيما لا يحل له فتح عليه أبواب البلوى، والمدعي يُطالب بالبينة لا محالة، وهو مفلس، فيُفتضح، والصادق لا يُقال له لِمَ. قال أمير المؤمنين عليه السلام: الصادق من لا يراه أحدٌ إلا هابه.

الباب الخامس والتسعون: المعرفة

قال الصادق عليه السلام: العارف شخصه مع الخلق، وقلبه مع الله، لو

عليه وآله قال (لم يبق من أمثال الأنبياء إلا قول الناس: إذا لم تستح فاصنع ما شئت). الصدوق، كتاب الأمالي،ط١، قم، ١٤١٧، ص٦٠٠.

(١) في سوى (ط) ادعى النسك.

سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه، والعارف أمين ودائع الله، وكنز اسراره، ومعدن نوره، ودليل رحمته، ومطية علومه، وميزان فضله وعدله.

قد نأى عن الخلق والمراد والدنيا، ولا مؤنس له سوى الله، ولا نطق ولا إشارة ولا نَفَس إلا بالله ولله ومن الله ومع الله[١]، فهو في رياض قدسه متردد، ومن لطائف فضله اليه متزود، والمعرفة أصلٌ فرعه الإيمان[٢].

الباب السادس والتسعون: حُبُ الله

قال الصادق عليه السلام: حُبُ الله إذا أضاء على سر عبدٍ أخلاه عن كل شاغل وكل ذكر سوى الله، والمُحِب أخلص الناس سراً لله، وأصدقهم قولاً، وأوفاهم عهداً، وأزكاهم عملاً، وأصفاهم ذكراً، وأعبدهم نفساً[٣].

---

(١) الجملة س (ط).

(٢) قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه (أولُ الدين معرفتهُ، وكمال معرفتهِ التصديقُ به، وكمال التصديق به توحيدهُ، وكمال توحيده الإخلاصُ له، وكمال الإخلاص له نفيُ الصفاتِ عنه) نهج البلاغة، ص١٧.

وقال الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه (إنما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً، قيل: جعلت فداك فما معرفة الله، قال: تصديق الله عز وجل، وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله، وموالاة علي عليه السلام والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام، والبراءة إلى الله من عدوهم، هكذا يعرف الله) أصول الكافي، ج١، ص٢٠٢.

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه (معرفتي بالنورانية، معرفة الله، ومعرفة الله معرفتي، وهو الدين الخالص ... وهو صعب مستصعب) البرسي، المشارق، ص٢٥٥.

(١) قال أحدهم للإمام محمد الباقر سلام الله عليه (إني أُلِمُ بالذنوب حتى إذا ظننت أني قد

تتباهى به الملائكة عند مناجاته لربه، وتفتخر برؤيته، وبه يعمر الله بلاده، وبكرامته يكرم الله عباده، ويعطيهم إذا سألوه بحقه، ويدفع عنهم البلايا بحرمته، فلو علم الخلق ما محله عند الله ومنزلته لديه، ما تقربوا إلى الله إلا بتراب قدميه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: حُبُ الله نارٌ لا تمُر على شيء من الذنوب إلا احترق، ونورُ الله لا يطلع على شيء إلا أضاء، وسماءُ الله لا ينبت تحته شيء إلا غطاه، وريح الله لا تهب على شيء إلا حركته، وماء الله يحيى به كل شيء، فمن أحب الله أعطاه كل شيء، من الملك، والملك له عز وجل.

والمُحب لله حقيقة هو الذي لا يعصي الله طرفة عين، وهو يرى نفسه مقصراً قد ألبسه الله هيبة أوليائه وأصفيائه[1]، قال النبي صلى الله عليه وآله: إذا أحب الله عبداً من أمتي، قذف في قلوب أصفيائه وأرواح ملائكته، وسكان عرشه؛ محبته ليحبوه، فذلك المحب حقاً، طوبى له ثم طوبى له، وله عند الله شفاعة يوم القيامة.

الباب السابع والتسعون: الحب في الله

قال الصادق عليه السلام: المُحِبُ في الله، مُحِبُ الله، والمحبوب في الله حبيب الله، لأنهما لا يتحابان إلا في الله. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المرء مع من أحب، فمن أحب عبداً في الله فإنما أحب الله، ولا يحب الله إلا من

هلكت، ذكرت حبكم فرجوت وتجلى عني، فقال أبو جعفر عليه السلام: وهل الدين إلا الحب، قال تعالى ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾...) الكافي، ج٨، ص٨٠.

(١) الجملة س (ط).

أحبه الله[١]. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل الناس بعد النبيين صلوات الله عليهم في الدنيا والآخرة، المُحبون لله، والمُتَحابُون فيه.

وكل حُبٍ معلول يورث بعداً فيه إلا هذين وهما من عين واحدة يزيدان أبداً ولا ينقصان[٢]، قال الله عز وجل ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾[٣]، لأن أصل الحب التبري عن سوى المحبوب[٤]. ومن أبغض ولياً لله أحبط الله عمله وأبغضه الله وملائكته وأولياؤه.

---

(١) روي عن الإمام الحسين سلام الله عليه (إلهي ... أنت الذاكر قبل الذاكرين، وأنت البادئ بالإحسان قبل توجه العابدين، وأنت الجواد بالعطاء قبل طلب الطالبين، وأنت الوهاب ثم لما وهبت لنا من المستقرضين، إلهي اطلبني برحمتك حتى أصل إليك، واجذبني بمنك حتى أقبل عليك) ابن طاووس، إقبال الاعمال، ص٦٦١.

وفي دعاء الإمام علي السجاد سلام الله عليه (بك عرفتك، وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك، ولولا أنت لم أدر ما أنت) ابن طاووس، إقبال الأعمال، ص٣٣٥. وتقدم في الباب الثالث أن سبب الإخلاص في الطاعات التوفيق الإلهي.

(٢) الجملة س (ط).

(٣) الزخرف: ٦٧.

(٤) الجملة س (ط). قال الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إن أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله، وتُوالي ولي الله، وتُعادي عدو الله) أصول الكافي، ج٢، ص١٢٦.

وروي عن الإمام علي الرضا سلام الله عليه أنه قال: (كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدونا) بحار الأنوار، ج٢٧، ص٥٨.

وقال الإمام الصادق سلام الله عليه (حب أولياء الله واجب، والولاية لهم واجبة، والبراءة من اعدائهم واجبة، ومن الذين ظلموا آل محمد عليهم السلام، وهتكوا حجابه، وأخذوا من فاطمة فدكاً، ومنعوها ميراثها) الصدوق، الخصال، ص٦٠٧.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن أطيب شيء في الجنة وألذه، حب الله، والحب في الله، والحمد لله. قال الله عز وجل ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١]، وذلك أنهم إذا عاينوا ما في الجنة من النعيم، هاجت المحبة في قلوبهم، فينادون عند ذلك الحمد لله رب العالمين.

الباب الثامن والتسعون: الشوق

قال الصادق عليه السلام: المشتاق لا يشتهي طعاماً، ولا يلتذ بشرابٍ، ولا يستطيب رقاداً، ولا يأنس حميماً، ولا يأوي داراً، ولا يسكن عمراناً، ولا يلبس ليناً، ولا يقر قراراً، ويعبد الله ليلاً ونهاراً، راجياً بأن يصل إلى ما يشتاق إليه.

ويناجيه بلسان شوقه، معبراً عما في سريرته، كما أخبر الله عن موسى بن عمران عليه السلام، في ميعاد ربه بقوله ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[٢]، وفسر النبي صلى الله عليه وآله وأخبر عن حاله، أنه ما أكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً، شوقاً إلى ربه[٣].

فإذا دخلت ميدان الشوق، فكبر على نفسك ومرادك، وفارق كل محبوب من الدنيا، وودع كل مألوف منها، واستعن بما اشتقت إليه، وأحرم

---

(١) يونس: ١٠.

(٢) طه: ٨٤.

(٣) دلت الأخبار على تحقق هذا الحال لدى الأولياء، فيتركون الطعام والمنام، لأيام طويلة لا يطيقها غيرهم، ورغم غرابة الأمر إلا انه ممكن وطبيعي عند الأطباء، قال ابن سينا (إذا بلغك أن عارفاً أمسك عن القوت المرزوء له، مدة غير معتادة، فاسجح بالتصديق، واعتبر ذلك من مذاهب الطبيعة المشهورة) الاشارات والتنبيهات، تحقيق: مجتبى زارعي، ط١، قم، ١٣٨١، ص٣٧١.

عن سوى معشوقك، ولبِ بين حياتك وموتك، لبيك اللهم لبيك، وأعظم الله أجرك، ومَثَلُ المشتاق مَثَلُ الغريق، ليس له همة إلا خلاصه، وقد نسي كل شيء دونه.

الباب التاسع والتسعون: الحكمة

قال الصادق عليه السلام: الحكمة ضياء المعرفة، وميزان التقوى، وثمرة الصدق، ولو قلت ما أنعم الله على عباده نعمة أنعم وأعظم وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمة، لقلت حقاً.

قال الله عز وجل ﴿**وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[1]، أي لا يعلم ما أودعت وهيأت في الحكمة إلا من استخلصته لنفسي، وخصصته بها، والحكمة هي الكتاب، وصفة الحكيم الثبات عند أوائل الأمور، والوقوف عند عواقبها، وهو هادي خلق الله إلى الله تعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله، لعلي عليه السلام: لئن يهدي الله على يديك عبداً من عباده، خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس، من مشارقها إلى مغاربها.

الباب المائة: حقيقة العبودية

قال الصادق عليه السلام: العبودية جوهرة كنهها الربوبية[2]، فما فُقِد

(١) البقرة: ٢٦٩.

(٢) (يعني إذا عبد الله العبد حق عبادته، وانقاد لأمره حق الانقياد، وخضع ورق، حتى لم ير نفسه بوجه من الوجوه، ويرى ربه بكله؛ يبلغ مبلغ الربوبية، وهذه الربوبية، هي الربوبية إذ مربوب، وهي غير الربوبية إذ يمتنع المربوب، فإنها مختصة بذات الله عز وجل، لا تشارك فيها ولا يتحد معها غيرها، وهذه الربوبية التي هي كنه العبودية،

من العبودية، وُجِد في الربوبية، وما خفى في الربوبية، أُصيب في العبودية[١].

قال الله عز وجل ﴿**سَنُرِيهِم آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَم يَكفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ**﴾[٢]، أي موجود في غيبتك وفي حضرتك[٣].

وتفسير العبودية بذل الكلية، وسبب ذلك منع النفس عما تهوى، وحملها على ما تكره في طاعة الله العلي الأعلى، ومفتاح ذلك ترك الراحة، وحب العزلة، وطريقه الافتقار إلى الله تعالى، قال النبي صلى الله عليه وآله:

هي الربوبية الأمرية والقهارية، بسبب أسماء الله وصفاته، على ما دونه، فيبلغ مبلغ السياسة لمن دونه، والتصرف فيه كيف ما شاء وأراد) محمد الكرماني، شرح حديث المعرفة بالنورانية، ضمن: مكارم الأبرار، ط١، البصرة، ١٤٣٤، ص٦٠.

(١) (لمحمد وآل محمد سلام الله عليهم، في مقام التشريع، مقامان، مقام الربوبية إذ مربوب، وهو مقام أشرقت الأرض بنوركم، وقال تعالى ﴿**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**﴾، قال عليه السلام: رب الأرض، إمام الأرض، ومقام الرسالة والعبودية ... وهو مقام قيامهم بين العباد، وقطبية البلاد .. وهي لهم صلوات الله عليهم، وهي كنهها الربوبية، المشار إليها، فما فقد في عبوديتهم، من الهيمنة والإحاطة والكلية، والشهادة التامة، وجد في ربوبيتهم، وما خفي في ربوبيتهم لغموض لطائف ذلك المقام وعلو درجته، فإنما يصاب في عبوديتهم التي هي آيتها ودليلها وظاهرها، ولذلك استشهد الإمام عليه السلام بقوله تعالى ﴿**سَنُرِيهِم آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَقُّ**﴾ ...) محمد الكرماني، شرح حديث المعرفة بالنورانية، ص١٧١.

(٢) فصلت: ٥٣.

(٣) الجملة س (ط).

اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وحروف العبد ثلاثة: ع، ب، د، فالعين علمه بالله، والباء بينونته وبعده عما سواه[١]، والدال دنوه من الله، بلا كيف ولا حجاب[٢].

وأصول المعاملات تقع على اربعة أوجه:

معاملة الله، ومعاملة النفس، ومعاملة الخلق، ومعاملة الدنيا، وكل وجه منها منقسم على سبعة اركان. أما أصول معاملة الله فسبعة اشياء: أداء حقه،

---

(١) قال أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه (وتوحيده تمييزه عن خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة) بحار الأنوار، ج٤، ص٢٥٣.

فقوام التوحيد بالبينونة بين الخالق والمخلوق، وكون الخالق متميز عن المخلوق، لكن ليس بالتمييز والبون العزلي، بل الصفتي، ذلك لأن التباين الصفاتي أتم وأقوى، لأن البون العزلي، يثبت الانفكاك الحقيقي بين شيئين، والاستقلال والتفرد الوجودي لكلٍ منهما، فضلاً عن الندية والتماثل والتشابه، ويمكن لحاظ هذا البون لدى النصارى والمجسمة، وعند المعتزلة في قولهم أن ملاك حاجة إلى العلة الحدوث فقط، قال تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ**﴾ المائدة: ٧٣. أما البون الصفتي فهو تباين ينفي كل وجوه التشابه، بحيث لا يشتركان بأي صفة على نحو الحقيقة، بل على نحو الاعتبار واللفظ فحسب، كما قال الامام جعفر الصادق سلام الله عليه (وله عز وجل نعوت وصفات، فالصفات له، وأسماؤها جارية على المخلوقين) الصدوق، التوحيد، ص١٤٠.

قال تعالى: ﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا**﴾ المجادلة: ٧. فهو تعالى رابع الثلاثة، لا ثالثهما، وخامس الأربعة، لا رابعهما، وسادس الخمسة، لا خامسهما، وهذا معنى بينونة الصفة، بحيث لا يمكن إشراك الله تعالى بصفة مع خلقه على نحو الحقيقة، بينما يكون ثالث الثلاثة في بينونة العزلة، وهي كفر والعياذ بالله.

(٢) الجملة س (ط).

وحفظ حده، وشكر عطائه، والرضى بقضائه، والصبرُ على بلائه، وتعظيم حرمته، والشوق إليه. وأصول معاملة النفس سبعة: الجهد، والخوف، وحمل الأذى، والرياضة، وطلب الصدق، والاخلاص، واخراجها من محبوبها وربطها بالفقر.

وأصول معاملة الخلق سبعة أشياء: الحلم، والعفو، والتواضع، والسخاء، والشفقة، والنصح، والعدل والانصاف. وأصول معاملة الدنيا سبعة: الرضى بالدون، والايثار بالموجود، وترك طلب المفقود، وبغض الكثرة، واختيار الزهد، ومعرفة آفاتها، ورفض الرئاسة فيها.

فإذا حصلت هذه الخصال بحقها في نفس أحدٍ، فهو من خاصة الله وعباده المقربين وأوليائه حقاً.

قال الصادق عليه السلام: كتاب الله على أربعة أشياء، على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء عليهم السلام[1].

---

(١) الفقرة س (ط). وهذا القول ذكره أبو عبد الرحمن السلمي (٤١٢هـ) عن الإمام الصادق سلام الله عليه، في كتابه حقائق التفسير، ط١، بيروت، ١٤٢١، ج١، ص٢٢. الأمر الذي يشكل قرينة على تداول نصوص المصباح في القرن الرابع الهجري، ومما يعززها وجود أصداء واضحة في ذاك العصر لنصوص أخرى من المصباح، ففضلاً عما شخصه الشيخ المجلسي في البحار ج١، ص٣٢، وبنى عليه وجود المصباح في القرن الخامس الهجري؛ نجد أصداء الباب الأول من المصباح واضحة في كلمات بعض متصوفة القرن الثالث الهجري، ينظر: الأصفهاني، حلية الأولياء، ج١٠، ص١.

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين[١]

(١) تم الكتاب والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله محمد خاتم النبيين، وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم، وعلى ابن عمه أمير المؤمنين وعلى الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة أجمعين، وعلى فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وعلى الأئمة الطاهرين وعباده الصالحين، وحسبنا الله وكفى ونعم الوكيل. يا خير مطلوب إليه وطالب اغفر لصاحبه نعم والكاتب، فرغ منها صاحبه يوم الجمعة لأثني عشرة ليلة خلت من محرم، أول سنة إحدى وخمسين وستمائة سنة، وقال مؤيد: لله وفي سبيله، لا يباع ولا يوهب ولا يورث ولا يملك. (ط).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، تم الانتهاء من تحقيق المصباح في مصباح الثالث من شعبان المعظم (ولادة الإمام الحسين صلوات الله عليه) من سنة ١٤٤٥هـ.

مصادر الدراسة والتحقيق

١. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل، ط٢، القاهرة، ١٩٦٧.

٢. ابن ابي الدنيا، الهم والحزن، تحقيق: مجدي السيد، القاهرة، ١٩٩١.

٣. ابن باقي الحلي، اختيار المصباح الكبير، تحقيق: مهدي دلـيري، ط١، قم، ١٤٣٢.

٤. ابن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: احمد بن علي، ط١، القاهرة، ١٤٢١.

٥. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود، ط١، بيروت، ١٩٩٥.

٦. ابن حجر الهيتمي، فتح الإله في شرح المشكاة، تحقيق: احمد المزيدي، ط١، بيروت، ١٤٢٣.

٧. ابن سينا، الاشارات والتنبيهات، تحقيق: مجتبى زارعي، ط١، قم، ١٣٨١.

٨. ابن شيبة الكوفي، المصنف، تحقيق: سعد الششتري، ط١، الرياض، ١٤٣٦.

٩. ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ط١، بيروت، ١٤٠٤.

١٠. ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية، تحقيق: احمد خلف الله، ط١، القاهرة، ١٤٣٢.
١١. ابن كثير، البداية والنهاية، ط١، بيروت، ١٩٨٧.
١٢. ابن منظور، لسان العرب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣.
١٣. ابو الحسن الأشعري، مقالات الاسلاميين، تحقيق: هلموت ريتر، ط٣، ١٩٨٠.
١٤. ابو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تحقيق: محمد ابو الفضل، ط١، القاهرة، ١٩٥٥.
١٥. ابو العباس التادلي، الحماسة المغربية، تحقيق: محمد الدايه، ط١، بيروت، ١٩٩١.
١٦. ابو القاسم بن عبد النبي ميرزا بابا الشيرازي، مناهج أنوار المعرفة، در شرح وكشف وبيان أسرار كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ط٢، تهران، ١٣٨٤.
١٧. ابو القاسم الزجاجي، الأمالي، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، القاهرة، ١٩٨٧.
١٨. ابو عبد الرحمن محمد السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط٢، بيروت، ١٤٢٤.
١٩. ابو علي بن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: عماد هلالي، ط١، قم، ١٤٢٦.
٢٠. ابو محمد البغوي، المصابيح، تحقيق: يوسف المرعشلي ط١، بيروت، ١٤٠٧.

٢١. ابو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط١، مصر، ١٩٧٤.
٢٢. احمد الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، تحقيق: حسن سلمان، ط١، بيروت، ١٤١٩.
٢٣. احمد بن محمد الشافعي، عمل اليوم والليلة، تحقيق: عبد الرحمن البرني، ط١، بيروت، ١٩٨٨.
٢٤. اخوان الصفاء وخلان الوفاء، الرسائل، ط١، بيروت، ١٤١٥.
٢٥. أرسطو طاليس، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، تقديم وتعليق: بارتلمي سانتهلير، ترجمة: احمد لطفي السيد، ط١، القاهرة،١٩٢٤.
٢٦. اسماعيل حقي الخلوتي، روح البيان، ط١، بيروت، د.ت.
٢٧. آغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٢، بيروت، د.ت، ج٢٦، ص١١٥.
٢٨. البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: محمد زغلول، ط١، بيروت، ١٤٢١.
٢٩. تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد، ط١، القاهرة، د.ت.
٣٠. الحافظ رجب البرسي، مشارق أنوار اليقين، ط٢، بيروت، ١٤٢٧.
٣١. حسين انصاريان، عرفان اسلامي، شرح جامع مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ط١، طهران، ١٣٦٣.
٣٢. الحسين بن حمدان الخصيبي، الهداية الكبرى، تحقيق: مصطفى الحمصي، ط١، بيروت، ١٤٣٢.
٣٣. الخليل الفراهيدي، العين، تحقيق: ابراهيم السامرائي ومهدي

المخزومي، ط١، بيروت.
٣٤. الدارمي، السنن، تحقيق: حسين الداراني، ط١، بيروت، ١٤٢١.
٣٥. الدكتور احمد محمود صبحي، الفلسفة الاخلاقية في الفكر الاسلامي، ط١، القاهرة، ١٩٨٣.
٣٦. الدكتور سليمان دنيا، الحقيقة في نظر الغزالي، ط٥، القاهرة، ١٩٩٤.
٣٧. الدكتور عبدالرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، ط٢، الكويت، ١٩٧٧.
٣٨. الدكتور علي زيعور، حقائق التفسير القرآني ومصباح الشريعة، ط١، بيروت، ١٩٩٣.
٣٩. الدكتور مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ط٢، بيروت، ١٩٨٦.
٤٠. الراغب الأصفهاني، كتاب التفسير، تحقيق: محمد بسيوني، ط١، مصر، ١٩٩٩.
٤١. الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ط١، بيروت، ١٩٨٠.
٤٢. الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد السود، ط١، بيروت، ١٩٩٨.
٤٣. الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ط١، بيروت، ١٤١٢.
٤٤. السراج الطوسي، اللمع في التصوف، تحقيق: آلن نيكلسون، ط١، ليدن، ١٩١٤.
٤٥. سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، القاهرة، ١٩٨٨.
٤٦. السيد ابن طاووس، إقبال الأعمال، تحقيق: جواد الأصفهاني، ط١، قم، ١٤١٤.

٤٧. السيد ابن طاووس، إقبال الأعمال، قدم له: حسين الأعلمي، ط١، بيروت، ١٤١٧.
٤٨. السيد ابن طاووس، الأمان من أخطار الأسفار والأزمان، ط١، قم، ١٤٠٩.
٤٩. السيد الشهيد محمد الصدر، فقه الأخلاق، ط١، بيروت، ١٤٢٨.
٥٠. السيد الشهيد محمد الصدر، منهج الأصول، ط١، النجف الأشرف، ١٤١٧.
٥١. السيد حسن الصدر، تكملة أمل الآمل، تحقيق: حسين علي محفوظ، ط١، بيروت، ١٤٢٩.
٥٢. السيد هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ط٢، بيروت، ١٤٢٧.
٥٣. السيوطي، الطراز في الألغاز، ط١، القاهرة، ١٤٢٢.
٥٤. الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، ط١، قم، ١٤٢٦.
٥٥. الشيخ ابراهيم الكفعمي، مجموع الغرائب وموضوع الرغائب، تحقيق: مهدي رجائي، ط١، قم، ١٤١٢.
٥٦. الشيخ إبراهيم الكفعمي، البلد الأمين، ط١، بيروت، ١٤١٨.
٥٧. الشيخ ابو القاسم القشيري، الرسالة، تحقيق: الشيخ عبد الحليم محمود، ط١، القاهرة، ١٩٨٩.
٥٨. الشيخ أبو القاسم القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق: عبد اللطيف حسن، ط٢، بيروت، ١٤٢٨.

٥٩. الشيخ ابو القاسم القشيري، نحو القلوب، وضع حواشيه: مرسي محمد علي، ط١، بيروت، ١٤١٥.
٦٠. الشيخ ابو جعفر الطوسي، تهذيب الأحكام، ط٣، قم، ١٤٣٤.
٦١. الشيخ ابو علي الفضل الطبرسي، مجمع البيان، ط٢، قم، ١٤٢٤، ج١٠، ص٤١٩.
٦٢. الشيخ ابو محمد بن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط٨، قم، ١٤٢٩.
٦٣. الشيخ أحمد الإحسائي، شرح العرشية، تحقيق: صالح الدباب، ط١، بيروت، ١٤٢٦.
٦٤. الشيخ احمد بن علي الطبرسي، الاحتجاج، ط٥، قم، ١٤٣٤.
٦٥. الشيخ احمد بن علي النجاشي، فهرست أسماء مصنفي الشيعة، تحقيق: ابراهيم الشبوط، ط١، بيروت، ١٤٣٤.
٦٦. الشيخ احمد زروق، شرح حكم ابن عطاء الله، تحقيق: عبد الحليم محمود، ط١، القاهرة، ١٩٨٥.
٦٧. الشيخ الصدوق، التوحيد، تحقيق: السيد هاشم الحسيني، ط١٠، قم، ١٤٣٠.
٦٨. الشيخ الصدوق، الخصال، تحقيق: غفاري، ط٢، قم، ١٤٠٣.
٦٩. الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ط٢، بيروت، ١٤٣٤.
٧٠. الشيخ الصدوق، كتاب الأمالي،ط١، قم، ١٤١٧.
٧١. الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ط١، قم، ١٤٢٥.

٧٢. الشيخ الميرزا حسين النوري الطبرسي، خاتمة مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، بيروت، ١٤٢٩.

٧٣. الشيخ الميرزا محمد تقي حجة الاسلام، صحيفة الأبرار، ط١، بيروت، ١٤٢٤.

٧٤. الشيخ زين الدين العاملي، أسرار الصلاة، تحقيق: محمد علي قاسم، ط١، بيروت، ١٩٨٩.

٧٥. الشيخ زين الدين العاملي، كشف الريبة عن أحكام الغيبة، تحقيق: علي الخراساني الكاظمي، ط٢، بيروت، ١٩٨٧.

٧٦. الشيخ زين الدين العاملي، مسكن الفؤاد، ط٢، الكويت، ١٩٩٥.

٧٧. الشيخ زين الدين العاملي، منية المريد، ط١، بيروت، ١٤٢٣.

٧٨. الشيخ قطب الدين الكيدري، اصباح الشيعة بمصباح الشريعة، تحقيق: الشيخ البهادري، ط١، قم، ١٤١٦.

٧٩. الشيخ محمد آصف المحسني، معجم الأحاديث المعتبرة، ط٢، قم، ١٤٣٧.

٨٠. الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ط١، بيروت، ١٩٨٥.

٨١. الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام، ط١، مشهد، ١٤١٤.

٨٢. الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، الأمالي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط١، طهران، ١٣٨١.

٨٣. الشيخ محمد بن يعقوب الكليني،، أصول الكافي، ط٥، قم، ١٤٢٥.

٨٤. الشيخ المفيد، الاختصاص، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط١، طهران، ١٤١٣.

٨٥. الشيخ محمد خان الكرماني، الكتاب المبين، ط١، البصرة، ١٤٣٢.

٨٦. الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، الأخلاق في القرآن الكريم، ترجمة: كاظم صالحي، ط١، بيروت، ١٤٢٥.

٨٧. الشيخ مصطفى النوراني، قواعد الدراية، ط١، قم، ١٤١١.

٨٨. الشيخ معين حسن العاملي، السوانح العاملية في تنقيح القواعد الرجالية، ط١، قم، ١٤٢٦.

٨٩. الشيخ هادي السبزواري، شرح الأسماء، تحقيق: نجفقلي حبيبي، ط١، طهران، ١٩٩٦.

٩٠. طاش كبرى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ط١، بيروت، ١٩٨٥.

٩١. العاملي، وسائل الشيعة، باب جهاد النفس، ط١، بيروت، ٢٠٠٣.

٩٢. عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، تحقيق: وليد بن أحمد وآخرون، ط١، لندن، ١٤٢٩.

٩٣. العلامة الحلي، خلاصة الأقوال، تحقيق: جواد قيومي، ط٤، قم، ١٤٣١.

٩٤. العلامة الحلي، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، تحقيق: عبد الرسول مبارك، ط١، قم، ١٤٢٣.

٩٥. علي بن عيسى الأربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، قدم له: احمد الحسيني، ط١، قم، ١٤٢١.

٩٦. الغزالي، إحياء علوم الدين، تقديم: بدوي طبانة، ط١، القاهرة، ١٩٥٧.

٩٧. الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء، ط١، قم، ١٤٢٦.

٩٨. القاضي سعيد محمد بن محمد القمي، شرح توحيد الصدوق، تحقيق: نجفقلي حبيبي، ط١، طهران، ١٤١٥.

٩٩. القاضي عبد الجبار المعتزلي، المغني، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط١، القاهرة، ١٩٦٠.

١٠٠. القاضي عبد الجبار المعتزلي، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: د. عبدالكريم عثمان،ط٣، القاهرة، ١٩٩٦.

١٠١. قطب الدين الكيدري، أنوار العقول من أشعار وصي الرسول، ط١، بيروت، ١٩٩٩.

١٠٢. المامقاني، تنقيح المقال في علم الرجال، تحقيق: محيي الدين المامقاني، ط١، قم، ١٤٢٤.

١٠٣. المبرد، كتاب الفاضل، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ط١، القاهرة، ١٩٥٦.

١٠٤. محمد الكرماني، شرح حديث المعرفة بالنورانية، ضمن: مكارم الأبرار، ط١، البصرة، ١٤٣٤.

١٠٥. محمد الكشي، الرجال، تحقيق: احمد الحسيني، ط١، بيروت، ١٤٣٠.

١٠٦. محمد المروزي، تعظيم قدر الصلاة، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، ط١، المدينة المنورة، ١٤٠٦.

١٠٧. محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، تحقيق: احمد شاكر، ط١، مصر، ١٩٣٨.

١٠٨. محمد بن الحسين الأجري، كتاب الشريعة، تحقيق: وليد الناصر، ط١، ١٩٩٦.

١٠٩. محمد بن حبان، كتاب الثقات، ط١، حيدر آباد، ١٣٩٣.

١١٠. محمد حسين الجلالي، فهرس التراث، ط١، قم، ١٤٢٢.

١١١. محيي الدين بن عربي، الفتوحات المكية، ط١، قم، د.ت.

١١٢. محيي الدين بن عربي، فصوص الحكم، تحقيق: ابو العلا عفيفي، ط١، القاهرة، ١٩٤٦.

١١٣. مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، تحقيق: السيد يوسف أحمد، ط١، بيروت، ٢٠١٣.

١١٤. مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، تحقيق: الشيح حسن المصطفوي، ط١، طهران، حجر، ١٣٧٣.

١١٥. مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، تحقيق: عمرو بن معد يكرب الهمداني، ط١، دمشق، ٢٠٢٠.

١١٦. مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ترجمة: جلال الدين برنجيان، ط٢، طهران.

١١٧. مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ترجمة: زين العابدين كاظمي خلخالي، تهران، حجر، ١٣٦١.

١١٨. مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ترجمة: عباس عزيزي، ط٤، قم، ١٣٨٩.

١١٩. مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ترجمة: علي أكبر صداقت، ط١، قم، ١٣٨٤.

١٢٠. مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، ترجمة: محمد باقر ساعدي خراساني، ط١، طهران، ١٣٨١ق.

١٢١. مصباح الشريعة، مؤسسة الأعلمي، ط٢، بيروت، ١٩٨٣.

١٢٢. ملا عبد الرزاق كيلاني، شرح فارسي مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، تحقيق: جلال الدين محدث أرموي، ط١، طهران، ١٣٤٤.

١٢٣. الميرزا عبد الله أفندي الأصبهاني، رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: أحمد الحسيني، ط١، قم، ١٤٠١.

١٢٤. نصر بن مزاحم، وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، القاهرة، ١٩٦٢.

١٢٥. نصير الدين الطوسي، شرح الإشارات والتنبيهات، ط١، قم، ١٣٧٥.

١٢٦. ورام المالكي، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام)، ط١، النجف الأشرف، ١٩٦٤.

فهرس المحتويات

كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة (دراسة تحليلية) ٥
من هو مؤلف مصباح الشريعة ؟ ٣٠
عدد أبواب مصباح الشريعة..... ٣٨
المستوى المعرفي والأخلاقي لمصباح الشريعة ٤١
كلمة أخيرة..... ٤٣
نشرات مصباح الشريعة ٤٤
تقييم عام لنشرات مصباح الشريعة..... ٤٦
المخطوطات..... ٤٨
منهج التحقيق..... ٥١
نماذج من صور المخطوطات ٥٣
الباب الأول: في البيان ٦٠
الباب الثاني: في الأحكام..... ٦١
الباب الثالث: في الرعاية..... ٦٢
الباب الرابع: في النية ٦٣
الباب الخامس: في الذكر ٦٥
الباب السادس: في الشكر..... ٦٦
الباب السابع: اللباس ٦٧

الباب الثامن: السواك..... ٦٨
الباب التاسع: في المستراح ٧٠
الباب العاشر: الطهارة..... ٧٠
الباب الحادي عشر: في الخروج من المنزل..... ٧١
الباب الثاني عشر: دخول المسجد ٧٣
الباب الثالث عشر: في افتتاح الصلاة..... ٧٤
الباب الرابع عشر: في قراءة القرآن ٧٥
الباب الخامس عشر: الركوع..... ٧٦
الباب السادس عشر: في السجود ٧٦
الباب السابع عشر: في التشهد ٧٧
الباب الثامن عشر: في السلام ٧٨
الباب التاسع عشر: في الدعاء..... ٧٩
الباب العشرون: في الصوم..... ٨١
الباب الحادي والعشرون: في الزكاة ٨٢
الباب الثاني والعشرون: الحج..... ٨٣
الباب الثالث والعشرون: السلامة ٨٥
الباب الرابع والعشرون: العزلة ٨٦
الباب الخامس والعشرون: في العبادة..... ٨٧
الباب السادس والعشرون: في التفكر ٨٨
الباب السابع والعشرون: الصمت ٨٩
الباب الثامن والعشرون: الراحة ٩١

الباب التاسع والعشرون: القناعة ٩١
الباب الثلاثون: الحرص ٩٢
الباب الحادي والثلاثون: الزهد ٩٣
الباب الثاني والثلاثون: صفة الدنيا ٩٤
الباب الثالث والثلاثون: الورع ٩٤
الباب الرابع والثلاثون: العِبرة ٩٥
الباب الخامس والثلاثون: التكلف ٩٦
الباب السادس والثلاثون: الغرور ٩٧
الباب السابع والثلاثين: النفاق..... ٩٧
الباب الثامن والثلاثون: العقل والهوى..... ٩٨
الباب التاسع والثلاثون: الوسوسة..... ٩٩
الباب الأربعون: العُجب ١٠٠
الباب الحادي والأربعين: الأكل ١٠١
الباب الثاني والأربعون: غض البصر ١٠٢
الباب الثالث والأربعون: المشي ١٠٣
الباب الرابع والأربعون: النوم ١٠٤
الباب الخامس والأربعون: المعاشرة..... ١٠٦
الباب السادس والأربعون: الكلام..... ١٠٧
الباب السابع والأربعون: المدح والذم..... ١٠٨
الباب الثامن والأربعون: المِراء ١٠٩
الباب التاسع والأربعون: الغيبة..... ١١٠

الباب الخمسين: الرياء ١١٢
الباب الحادي والخمسون: الحسد ١١٢
الباب الثاني والخمسون: الطمع ١١٣
الباب الثالث والخمسون: السخاء..... ١١٤
الباب الرابع والخمسون: الأخذ والعطاء ١١٦
الباب الخامس والخمسون: المؤاخاة ١١٧
الباب السادس والخمسون: المشاورة ١١٨
الباب السابع والخمسون: الحلم..... ١١٩
الباب الثامن والخمسون: التواضع ١٢٠
الباب التاسع والخمسون: الإقتداء ١٢١
الباب الستون: العفو ١٢٣
الباب الحادي والستون: حُسن الخُلق..... ١٢٤
الباب الثاني والستون: العلم ١٢٥
الباب الثالث والستون: الفُتيا ١٢٧
الباب الرابع والستون: الأمر بالمعروف..... ١٢٩
الباب الخامس والستون: في الخشية ١٣٠
الباب السادس والستون: آفة القراء ١٣١
الباب السابع والستون: بيان الحق من الباطل..... ١٣٢
الباب الثامن والتاسع والستون: في معرفة الأنبياء والأئمة ١٣٤
الباب السبعون: حرمة المؤمنين..... ١٣٨
الباب الواحد والسبعون: بر الوالدين ١٣٨

الباب الثاني والسبعون: الموعظة..... ١٣٩
الباب الثالث والسبعون: الوصايا ١٤٠
الباب الرابع والسبعون: الصدق ١٤١
الباب الخامس والسبعون: التوكل..... ١٤٣
الباب السادس والسبعون: الإخلاص ١٤٤
الباب السابع والسبعون: معرفة الجهل ١٤٧
الباب الثامن والسبعون: تبجيل الإخوان..... ١٤٨
الباب التاسع والسبعون: التوبة ١٤٩
الباب الثمانون: الجهاد والرياضة ١٥٠
الباب الحادي والثمانون: الفساد..... ١٥٤
الباب الثاني والثمانون: التقوى ١٥٥
الباب الثالث والثمانون: الموت ١٥٦
الباب الرابع والثمانون: الحساب ١٥٧
الباب الخامس والثمانون: حُسن الظن ١٥٨
الباب السادس والثمانون: التفويض..... ١٥٩
الباب السابع والثمانون: اليقين ١٦٠
الباب الثامن والثمانون: الخوف والرجاء..... ١٦٢
الباب التاسع والثمانون: الرضا..... ١٦٤
الباب التسعون: البلاء..... ١٦٤
الباب الحادي والتسعون: الصبر ١٦٦
الباب الثاني والتسعون: الحزن ١٦٧

الباب الثالث والتسعون: الحياء ١٦٨
الباب الرابع والتسعون: الدعوى ١٦٩
الباب الخامس والتسعون: المعرفة ١٦٩
الباب السادس والتسعون: حب الله ١٧٠
الباب السابع والتسعون: الحب في الله ١٧١
الباب الثامن والتسعون: الشوق ١٧٣
الباب التاسع والتسعون: الحكمة ١٧٤
الباب المائة: حقيقة العبودية ١٧٤
مصادر الدراسة والتحقيق ١٧٩
فهرس المحتويات ١٩١

■ منذ القرون الأولى صنف المتصوفة المسلمون العديد من الكتب الأخلاقية, وقد لاقت انتشاراً واسعاً, الى يومنا هذا, ولو كان مصباح الشريعة مستلاً منها, أو أحدها, لما خفي الأمر, نعم هناك تشابه بين مصباح الشريعة,وبين العديد من الكتب الأخلاقية للمتصوفة, كقوت القلوب للمكي, وتنبيه الغافلين للسمرقندي, والرسالة للقشيري, والإحياء للغزالي, إلا ان هذا التشابه لا يتعدى مساحة محددة, وهي القصص والأحداث التي تتناقلها جميع الكتب الاخلاقية, والتي تنطوي على العبرة والموعظة, ولو قسنا هذه الأمور الى مصباح الشريعة, لوجدناها هوامش سجلت على محور أصيل تمثل بأقوال الإمام جعفر الصادق سلام الله عليه، تلك الأقوال التي لا نجد لأكثرها أي ذكر في أيٍ من كتب المتصوفة, المتأخر منها والمتقدم, مع العلم انها تعالج المواضيع ذاتها, ففي مصباح الشريعة كلمات اختص بها دون غيره من الكتب, وفيها من جهة المعنى والدلالة شموخ وعلو تعجز عنه قرائح كبار المتصوفة, وتنحسر دونه ظنون الحكماء, وفيه من (الأسرار والإشارات التي يبعد صدورها عن غير المعصوم).